وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

عدو الشعب

مسرحية

تأليف : هنريك إبسن
ترجمة : د. فؤاد عبد المطلب

مسرحيات عالمية ٥



عدو الشعب



تصميم الغلاف

أحمد إسماعيل

عدو الشعب

مسرحية

تأليف : هنـريـك إبســن

ترجمة: د. فؤاد عبد المطلب

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٢م

العنوان الأصلي للكتاب:

An Enemy

Of the People

By

Henrik lbsen

عدو الشعب / تأليف هنريك إبسن؛ ترجمة فؤاد عبد المطلب .- دمشق : الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٢م .- ٢٢٤ ص؛ ٢٠ سم.

(مسرحيات عالمية؛ ٥)

١- ٨٣٩,٨٢ إ ب س ع ٢- العنوان
٣- إبسن ٤- عبد المطلب ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

مسرحيات عالمية

«٥»

مقدمة الترجمة العربية

مدخل لدراسة إبسن ومسرحية

«عدو الشعب»

ولد هنريك إبسن في العشرين من آذار عام (١٨٢٨) في «سكيين»، وهي بلدة في النرويج بلغ عدد سكانها آنذاك ثلاثة آلاف نسمة. اهتم إبسن بالمسرح منذ نعومة أظفاره، حيث كان يصنع دمىً من أجل عروض مسرحية منزلية. عمل والده تاجراً، وسرعان ما أصابه الإفلاس عام (١٨٣٦)، فانتقلت العائلة إلى منزل ريفي. وفي الخامسة عشرة من عمره، ترك إبسن المدرسة، وأُرسل إلى بلدة أخرى صغيرة تدعى، «غرمستاد» حيث عمل في صيدلية هناك. عاش إبسن وقتئذٍ أوضاعاً مزرية، وكان ناقماً على وضعه الاجتماعي وفقره المدقع وعازماً على إيجاد مخرج، فحاول إبعاد الكآبة واليأس عنه بكتابة الشعر، وحين بلوغه الثامنة عشرة تبنى طفلاً أخذ يعيله من موارده الضئيلة طوال الأربع عشرة سنة التالية.

كانت النرويج أيام إبسن بلداً زراعياً من أقل البلدان تطوراً في أوروبا الغربية، ويعيش ظروفاً شبيهة بظروف القرون الوسطى. فقد خضعت للحكم الدنماركي منذ العام (١٣٨٧) حتى العام (١٨١٤)، واعتمدت ثقافياً إلى حد كبير على الدنمارك، إذ لم يكن الأدب يكتب بالنرويجية بل بالدنماركية. وفي مرحلة الحروب النابليونية، حازت النرويج استقلالها لمدة بسيطة، فقد خضعت بعدها لسيطرة السويد السياسية مع أنها حاولت الحفاظ على شيء من سيادتها، لكنها لم تستقل تماماً إلا في العام (١٩٠٥) أي قبل سنة من وفاة هنريك إبسن. وظلت النرويج بعد ذلك بلداً صغيراً ريفياً يحكمه كلياً موظفو الحكومة، وتسوده نظرة دينية واجتماعية تقليدية محافظة.

كان إبسن الشاب يشعر وكأنه منبوذ من مجتمعه، فقد فقدت العائلة مالها ومكانتها الاجتماعية. وحاصرته الثرثرات المحلية بأنه قد يكون هو نفسه ابناً غير شرعي، لأنه تبنى طفلاً من أبوين غير شرعيين. وحين كان يعمل في «غرمستاد» ، كان عَليّة القوم هناك ينظرون إليه نظرة اجتماعية دونية. نتيجة لذلك كان حقيقةً منبوذاً من الناحيتين العاطفية والثقافية، فأخذت أفكاره العلمانية بالظهور، واعتنق مبادئ سياسية متطرفة، وصمم على الخروج من تقييدات المجتمع المحلي، فاستعد للالتحاق بجامعة كريستيانيا (أوسلو حالياً)، وراح يكتب المسرحيات الشعرية. فقد

نشر أول مسرحية له «كاتالين» عام (١٨٥٠) بمساعدة أحد أصدقائه، ورُفضت المسرحية للعرض في مسرح كريستيانيا، وبيعت معظم النسخ لبقال مجاور كي يستخدمها في صر مبيعاته. استندت المسرحية إلى أحداث ثورةٍ أيامَ الرومان، مستلهمة الأحداث الثورية السياسية التي سادت أوروبا في العام (١٨٤٨)، والتي كان من نتائجها ظهور حكومات ديموقراطية، ولو لمراحل وجيزة، ضد أشكال الحكم الشمولي. انصب اهتمام إبسن منذ البداية على موضوع سعي الفرد من أجل الحصول على حريته الفردية الإنسانية كي يتمكن من تقرير مصيره في الحياة أكثر من حصوله على حريته السياسية.

وفي نيسان عام (١٨٥٠) غادر إبسن «غرمستاد» وأمضى أسبوعين مع عائلته في آخر زيارة لهم؛ فذهب إلى دراسة الطب في جامعة كريستيانيا والتحضير من أجل امتحانات الدخول، رسب بعدها في اللغة الإغريقية والحساب، فترك الدراسة الجامعية وقتئذٍ. كانت مسرحيته «رابية الدفن» أول مسرحية تُعرض له على خشبة مسرح كريستيانيا في إيلول عام (١٨٥٠). وفي العام التالي، عُين إبسن مديراً للمشاهد في المسرح القومي في «بيرغن» والذي استمر يعمل فيه طيلة السنوات الست التالية. فقد كان مسؤولاً عن إدارة الخشبة، وترتيب المشاهد، والإشراف على حركة الممثلين، كما كان يقدم مسرحياته المكتوبة للتمثيل

على نحو منتظم. وفي العام (١٨٥٢) قام برحلة دراسية زار فيها المسارح في ألمانيا والدنمارك، حيث تعلم الكثير عن العروض المسرحية الحديثة التي كانت تهمه في عمله وفي تطوير إبداعه المسرحي. دأب المسرح القومي في «بيرغن» آنذاك على محاولة خلق تقاليد نروجية فنية تقف في وجه المسرح الدنماركي. ومن المسرحيات التي كتبها إبسن في تلك الأثناء «أمسية سان جون» (١٨٥٢)، و«السيد إينغر من أوسترات» (١٨٥٤)، و«العيد في سولهوغ» (١٨٥٥)، و«الفايكنغ في هيلغلاند» (١٨٥٧)، و«ملهاة الحب» (١٨٥٥).

كان إبسن قد حصل على وظيفة في المسرح النرويجي في كريستيانيا في العام (١٨٥٧)، حيث عُرضت فيه بعض مسرحياته، وبعدها بسنة تزوج بنت قسيس تدعى سوزانا ثورنسن. تدهور وضع هذا المسرح مالياً إذ كان يتعرض لانتقاد بسبب سياساته، وأفلس في عام (١٨٦٢)، الأمر الذي أدى إلى انقطاع الراتب المنتظم الذي تسلمه إبسن مدة سنتين. حصل إبسن خلال تلك الأيام على منحة حكومية لمدة وجيزة قام فيها بجمع الأغاني والحكايات الشعبية. وفي العام (١٨٦٤) حصل على منحة سافر بها إلى روما. وقضى بعدها معظم حياته خارج بلاده متنقلاً بين إيطاليا وألمانيا حتى العام(١٨٩١). وكان ابتعاده بسبب إرادته الذاتية وبسبب امتعاضه من رفض السويد والنرويج

مساعدة الدانمرك في حربها مع ألمانيا، فقد كانت الحركة النرويجية آنذاك جزءاً لا يتجزأ من النزعة الإسكندنافية الكبرى.

كانت مسرحيات إبسن قبل أن يغادر النرويج، مع استثناءات قليلة، مسرحيات تاريخية مكتوبة شعراً. وحين غادر، ابتعد إبسن عن الروح القومية الرومانتيكية التي تميزت بها مسرحياته الباكرة. ومع ذلك، تابع كتابة المسرحيات وكانت النروج أرضية اجتماعية لها مدعياً أنه يهدف من وراء ذلك إلى استنهاض مواطنيه من خمولهم. كُتبت مسرحية «براند» في روما ونُشرت عام (١٨٦٦) وهي مسرحية شعرية مطولة تُعنى بكفاح الإنسان من أجل تحقيق مُثل عليا وضد القيود المفروضة على جهوده. أسست هذه المسرحية لشهرة إبسن بوصفه كاتباً نرويجياً كبيراً؛ وبعد العام (١٨٦٦) تحرر نهائياً من أعبائه المادية. ومع النقص في دراسته الجامعية وفي التقاليد المسرحية في النرويج، تمكن إبسن من مواجهة هذا التحدي عن طريق قراءته الواسعة ومحاولته المستمرة وملاحظته الدقيقة ليصبح كاتباً مسرحياً ناجحاً. وفي عام (١٨٦٧) نشرمسرحية «بيرجنت» وهي مسرحية شعرية طويلة تعالج موضوع السعي من أجل قضية الحرية والمثل العليا من زاوية أخرى. فحين يظهر براند رجل دين مثالياً يضحي بحياة ابنه في أثناء محاولة بحثه عن ذاته الدينية وتحقيقها، يظهر بيرجنت بوصفه مغامراً مستهتراً غير صادق وغير منسجم مع نفسه. كتبت هاتان المسرحيتان

الشعريتان من أجل القراءة وليس من أجل وضعهما على المسرح، وتبعتهما مسرحية «الإمبراطور وغليلي» عام (١٨٧٣)، وهي مسرحية نثرية عدّها إبسن دائماً عمله الرئيس، وتدور حول الصراع بين القوتين الدينية والدنيوية.

لقد كانت المسرحيات التي كتبها في المرحلة التالية سبب شهرته الكبرى، حين قام بالجمع بين الخلفية (الزمانية والمكانية) المرسومة في مسرحيتي «براند» و«بيرجنت» والأسلوب النثري الذي اتخذه في مسرحيته «الإمبراطور وغاليلي» ليطور المسرحية الواقعية القادرة على التعبير عن اهتمامه الأساسي بقضية بحث الإنسان عن حريته والنضال ضد القيود التي يفرضها المجتمع والماضي على هذا البحث. لم تكن هذه المسرحيات شاعرية من جهة لغتها، لكنها تُظهر رؤىً شاعرية عبر أحداث الحياة اليومية وأفعالها، استخدم إبسن فيها شخصيات وخلفيات وأزياء وحوادث واقعية للتعبير عن رؤاه الفلسفية الإنسانية والاجتماعية. فمسرحية «أعمدة المجتمع» (١٨٧٧)، و«بيت الدمية» (١٨٧٩)، و«الأشباح»، و«عدو الشعب» (١٨٨٢) غالباً ما تعد من روائع المسرح الواقعي الأوروبي، فقد أدى نشر هذه المسرحيات وعرضها إلى جعله أكثر الكتاب المسرحيين نقاشاً في أوروبا.

أما مسرحيات إبسن الأخيرة فكانت أكثر رمزية، وتهتم على الأغلب بالصراعات بين أشخاص مثاليين والمجتمع من حولهم.

وثمة تقصّ مرير لدور الفنان والمثالي في المجتمع يتجلى في مسرحيات عظيمة مثل «البطة البرية» (١٨٨٤)، و«بيت آل روزمر» (١٨٨٦)، و«هيدا غابلر» (١٨٩٠)، و«معلم بناء» (١٨٩٢)، و«جون غابرييل بوركمان» (١٨٩٦)، وآخر مسرحية كتبها إيسن «عندما نُبعث نحن الموتى» (١٨٩٩). وفي عام (١٩٠٠) أصيب إبسن بجلطة دماغية دخل على إثرها في حالة شلل انهارت قواه بعد ذلك وتوفي في العام (١٩٠٦).

غالباً ما يُنظر إلى إبسن على أنه أعظم كاتب مسرحي يظهرفي أوروبا بعد شكسبير، وخلال حياته كانت مسرحياته محل جدل وخلاف لكنه كُرِّم عالمياً بوصفه كاتباً مسرحياً استطاع تغيير اتجاه المسرح في أيامه باتجاه المسرح الواقعي الاجتماعي الحديث الذي أثر في كثير من كُتاب المسرح العالمي أمثال: أنطون تشيخوف (١٨٦٠- ١٩٠٤) وأوغست ستريندبرغ (١٨٩٤ــ١٩١٢) وجورج برنارد شو (١٨٥٦ - ١٩٥٠) وشون أوكيسي (١٨٨٠-١٩٦٤) وأرثر ميلر (١٩١٥-٢٠٠٥)، وغيرهم.

نُقلت مسرحية «عدو الشعب» إلى العربية من ترجمة إنكليزية قام بها وقدم لها مايكل ميير ضمن مجموعة أعمال إبسن المسرحية التي صدرت بطبعتها الأولى في أربعة مجلدات عن دار مثيون في لندن (١٩٨٠)، والتي توالت طبعاتها بعد ذلك. احتوى المجلد الثاني منها ثلاث مسرحيات: «بيت الدمية»

و«عدو الشعب» و«هيدا غابلر». ويمكن وصف ترجمة مايكل ميير الإنكليزية بأنها ناجحة مسرحياً، فعباراته لطيفة ومشحونة بالدلالات، وتخاطب أحاسيس النظارة وعقولهم في الآن نفسه، ولا تعمد إلى الوصف والشرح أكثر مما هو ضروري. وفي هذا السياق، يبدي مايكل ميير في مقال له بعنوان «في ترجمة المسرحيات» (الصادرة في كتاب «دراسات القرن العشرين» ١٩٧٤) رأياً مفاده، وهو يقتبس من ت. راتيغن، أنَّ الكلمة المنطوقة أشد وقعاً من الكلمة المكتوبة بخمس مرات على الأقل، أي أن ما يكتبه الروائي في ثلاثين سطراً، يقوله الكاتب المسرحي في خمسة أسطر. ليست المسألة هنا دقة الحسابات، بل ما هو مهم أن الترجمة المسرحية يجب أن تكون دقيقة ولا مغالاة فيها. ومما يجدر ذكره هنا أن المترجمين في العالم الأنجلو – أمريكي عموماً حاولوا في أثناء ترجمتهم مسرحيات إبسن إلى الإنكليزية القيام بمهمة تكاد تكون مستحيلة ألا وهي الإيهام أن إبسن كتب مسرحياته أصلاً بالإنكليزية. وقد أشارت أونا إيليس فيرمر إلى هذه المحاولة في مقدمة ترجمتها بعضَ مسرحيات إبسن قائلة: «بالفعل لقد حققت مسرحيات إبسن شهرتها العالمية من خلال ترجمتها إلى الإنكليزية» (انظر، هنريك إبسن، ثلاث مسرحيات، هارموند سورث، ميدلسكس: كتب بنغوين الكلاسيكية، ١٩٥٦).

كانت الترجمة ولا تزال تمثل المقدرة والكفاءة على الأخذ بيد القراء والمشاهدين والمضي بهم عبر فضاءات لم يكونوا ليجوبوها وحدهم قط؛ وهي التي من شأنها أيضاً أن تمكنهم من اكتشاف أشياء وظواهر في الأدب العالمي ما كان لهم أن يعرفوها على نحو آخر. لذلك ظلت الترجمات الأدبية المسرحية الناجحة لأعمال إبسن تلقى ترحيباً ورواجاً في جميع بلدان العالم. وقد أدت النجاحات التي أحرزتها مسرحيات إبسن وعروضها وترجماتها في ألمانيا وإنكلترا وأوروبا عموما إلى إسكات المعارضة النقدية التي ثارت ضده في بلاده وإلى تبوُّئه مكانة مرموقة في حركة المسرح العالمي الحديث.

تميزت المسرحيات التي كتبها إبسن وعُرضت في السبعينيات والثمانينيات على مسارح أوروبية مختلفة بمعالجاتها العميقة الموضوعات الاجتماعية والإنسانية، بأحداثها وشخصياتها وحواراتها ومواقفها وأرضياتها الواقعية البعيدة كل البعد عن الروح الرومانسية التي كانت سائدة في المسرح الأوروبي بعامة منذ بدايات القرن التاسع عشر. كما كانت ردود فعل الجمهور واسعة وعنيفة أحياناً وبخاصة بعد عروض مسرحيتي «بيت الدمية» و«الأشباح»، إذ قامت الأوساط التقليدية المحافظة بانتقاد هذه المسرحيات بقسوة. وقد أدى ذلك إلى تقوية شعورإبسن بأنه يجب أيضاً الرد على أولئك المنتقدين المحافظين وإحداث هزة في شعورهم بالرضى والقناعة وصوابية أفكارهم. وسَرَعَ حنقه

الشديد منهم كتابته المسرحية التالية «عدو الشعب» التي نُشرت في كوبنهاغن في تشرين الثاني عام (١٨٨٢). وتتخذ المسرحية موضوعاً لها تلوث فعلي بوصفه رمزاً للمستنقع الأخلاقي الذي غاصت فيه ضمائر الناس في إحدى البلدات في شمال شرق النرويج.

تدور أحداث المسرحية حول الدكتور توماس ستوكمان، رب عائلة وطبيب، في بلدة ساحلية صغيرة قرب ينبوع مياه معدنية. وبعد مدة طويلة من التحليل لمياه الينبوع الذي أسسه الدكتور ستوكمان ليكون منتجعاً للزوار من البلدة وخارجها، يكتشف ستوكمان أنها ملوثة وخطرة على صحة كل من يزور المكان. وكان هناك أمل كبير لدى الناس في هذا المشروع بأنه سيكون مصدر شهرة وازدهار للبلدة كلها، ولكن تتكون قناعة عند الدكتور ستوكمان أنه لا يمكن الاستمرار بهذا المشروع على النحو المعمول به، لذلك يرى أنه يجب إغلاقه إلى أن يتم إصلاح الأوضاع الفنية القائمة والابتعاد عن فضلات المدابغ القريبة التي تلوث مياه الحمامات. يتلقى الدكتور ستوكمان الاستحسان والمديح في البداية على اكتشافه هذا، ولكن سرعان ما يتبين أن إنجاز الإصلاحات يتطلب الكثير من المال والوقت، ومن ثمَّ يتعذر الموافقة على تصحيح الأوضاع، فتتحول الصحافة والسلطات والناس جميعاً ضده. ويبرز أخوه بيتر ستوكمان بوصفه أقوى معارض له مستخدماً نفوذه بوصفه رئيساً للبلدية

وآمراً للشرطة. ويطلب من الدكتور ستوكمان تخفيف مطالبه وبخاصة إغلاق الحمامات، فيرفض ويصر على إطلاع الناس على الحقيقة وأن يكون لهم رأي فيها، ويدعو إلى اجتماع عام كي يعرض القضية عليهم، ويتضح بعد ذلك الرأي القاتل إن الأغلبية الساحقة التي يُمثلها الغوغاء هي دائماً على خطأ وأن الأقلية التي يمثلها المتنورون هي دائماً على صواب. ويقوم الحضور في الاجتماع بمهاجمته بإطلاق تسمية «عدو الشعب» عليه ويعدونه خطراً على المجتمع ويجبرونه على الخروج من الاجتماع. ويحصد الدكتور ستوكمان وعائلته نتائج مأساوية اجتماعياً وإنسانياً نتيجة لمواقفه؛ إذ يبتعد عنه مرضاه الذين كانوا يزورونه، ويُطرد من وظيفته بوصفه طبيب صحة في المشروع، وتُفصل ابنته بترا من التدريس ويتخلى عنها خطيبها، ويتعرض أطفاله إلى مضايقات في المدرسة، وتفقد العائلة منزلها أيضاً.

تتمثل ردة فعل الدكتور ستوكمان الأولى وهو في ذروة الغضب وخيبة الأمل في السفر إلى أمريكا مع عائلته، وحتى هذا الأمر لا يتحقق لأن صديقه القبطان هورستر، قبطان السفينة التي ستقله إلى هناك، يفقد وظيفته بسبب وقوفه إلى جانب ستوكمان. وحين يقذفه الناس بالحجارة، ويكسرون نوافذ منزله، ويشتمونه، ويتعرض إلى محاولات الابتزاز والتهديد، يقرر نهائياً البقاء في البلدة وتكريس نفسه لإنشاء مدرسة يتعلم فيها الأولاد ولاسيما المتشردين منهم كي يصبحوا مواطنين ذوي أفكار حرة قادرين

على مواجهة الفساد والكذب والأنانية والدفاع عن الحرية والحقيقة والصالح العام. وفي خضم فشله وهزيمته يردد كلمات المسرحية الأخيرة مؤملاً الاستمرار في المواجهة: «إن أقوى رجل في العالم هو من يقاتل وحيداً....»

تكاد تخلو مسرحية «عدو الشعب» من التعقيد والخيال أو الشاعرية أو الرومانسية التي تتميز بها بعض مسرحياته، لكنها عموماً تُعد من أكثر الأعمال واقعية وانتقاداً وإتقاناً وحيوية، إذ تكتسب استمرارية الاهتمام بها من استمرار الشر والفساد الانتهازية والكفاح الدائم من أجل الخير والحقيقة والمصلحة العامة. ولموضوع المسرحية أبعاد إنسانية واجتماعية وسياسية واضحة لأنها تُركز على الجوانب السلبية في بلدة يتحكم في سلوك أهلها الكذب والمصالح الذاتية بغض النظر عما سيجلبه ذلك من نتائج مأسوية على المجتمع. وتسود المسرحية بعد الفصل الأول حتى نهايتها أجواء سوداوية تشاؤمية ما عدا العبارة المتفائلة الأخيرة التي يطلقها الدكتور ستوكمان معبراً عن عزمه على الوقوف في وجه السلطات الفاسدة في بلدته.

إن مسرحية «عدو الشعب» حافلة بالسخرية والتهكم لأنها مبنية على التباين بين الأخوين ستوكمان: توماس المنفتح بطبيعته الذي يلتف من حوله الأذكياء المتعلمون والعاملون المجدون، وبيتر الرصين الوقور المحافظ الذي لا يرتاح أبداً إلى رفقة الناس المتحررين، والذي يمثل العالم القائم على الأعراف

والنظام. يسعى الدكتور ستوكمان أن يُدخل أفكاراً جديدة وإصلاحات من أجل فائدة المجتمع، بينما يظهر رئيس البلدية بوصفه شخصية واعية تماماً لمركزها وقوتها، في حين يبدو الدكتور ستوكمان أنه يعي واجبه بوصفه مواطناً صالحاً فحسب. وتتسم شخصية الدكتور بالشجاعة والنبل وتحدي الغوغاء التي لا يرى فيها إلا جماعة من الجبناء، بينما تتصف شخصية رئيس البلدية في كونه لاعباً ذكياً يستطيع تضليل الناس وجعلهم يقفون إلى جانبه. وتكمن السخرية الرئيسة في المسرحية في أن شخصاً خيراً مثل ستوكمان يُعامل على أنه عدوٌّ للشعب، بينما يسعى حثيثاً من أجل أن يَعرض الأوضاع المزرية في الحمامات ويصححها كي لا يسقط الناس مرضى وضحايا للتلوث، ونتيجة لجهوده يُحارب بوصفه عدواً للشعب، بينما يُعدّ رئيس البلدية بطلاً نظراً لسعيه للمصلحة الشخصية ولإخماده الحقيقة.

كان هنريك إبسن أول كاتب مسرحي كبير يعالج مآسي الناس العاديين الذين يعيشون ظروفاً اعتيادية، مستخدماً في ذلك لغة الحياة اليومية في حوارات الشخصيات، بالمقارنة مع المسرحيات المأساوية السابقة التي اختصت بحيوات الملوك وشؤونهم وبلغة شعرية منمقة عالية. أما موضوعات المسرحيات الضاحكة أو الهزلية فكانت تدور في أيامه حول أبناء الطبقات الوسطى أو الدنيا. ما قام به إبسن هو تنقية حبكات مسرحياته من العنصر الضاحك إلى حد كبير، مبتعداً عن ممارسات المسرح السابق له

الذي استند إلى تقنيات اصطناعية: فمسرحياته تخلو من المناجاة أو أحاديث تُسمع مصادفة أو اتفاقاً أو استراق السمع، أو رسائل مُعتَرَضة أو ارتداء أقنعة. كما قام عموماً بضغط عدد فصول المسرحية الكلاسيكية من خمسة إلى ثلاثة أو أربعة فصول. كما أن نثره المسرحي غالباً ما يُعد من أفضل ما كُتب في ميدان النثر الإبداعي. فكثيراً ما جعل شخصياته تتحدث بصورة طبيعية، مع اختلاف في مستوى كل شخصية مثلها مثل شخصيات الروايات العظيمة. كما يتجلى عمقها الإنساني وتعقيدها النفسي من خلال تلك الأحاديث التي تتجرد من الزيادات في الكلام وتقتصد في تعابيرها عن الأفكار. وقد أثر ذلك على نحو واضح في طريقة التمثيل وجَعَلها أكثر واقعية وبعداً عن الرومانسية والمواقف المصطنعة. كما يتطلب عمق الشخصيات وتعقيدها من الممثلين التأني والتحليل أكثر، والغوص في أعماق الشخصيات وحساسياتها وقد جعلت واقعيته الممثلين يستندون إلى معرفتهم الحياتية في أثناء تمثيلهم الشخصيات أكثر من قيامهم بالاستحواذ على إعجاب الجمهور من خلال أقوال بالغة التكلف، أو دموع وعواطف مفتعلة، أو انفعالات صارخة، أو غيرها من المهارات الفنية.

بعد مسرحية «بيت الدمية» عام (١٨٧٩) ومسرحية «الأشباح» عام (١٨٨١) اللتين هاجم فيهما قيم المجتمع البرجوازي «المحترم» المحافظ وعلى رأسها النفاق والأنانية

والكذب، تابع إبسن نقده هذا المجتمع في مسرحية «عدو الشعب» عام (١٨٨٢) مؤكداً أن الأغلبية عادة ما تكون على خطأ وأن الأقلية دائماً على صواب عبر رفضه المطلق الإصلاح المنفرد واهتمامه بموضوع الحرية: حرية الفرد الكاملة أن يكون صادقاً مع نفسه وأن يقول الحقيقة كاملة. وقد كانت مهمته توضيح ذلك عبر تصويره الشخصيات الإنسانية، وفي طليعة هذه الشخصيات شخصية الدكتور ستوكمان. على مايبدو أن إبسن قد وجد عزاءً في شخصية هذا المتمرد الوحيد، فقد صرح مرة في رسالة إلى جورج برانديس أن: «الأغلبية، الجمهور، الغوغاء، لا يمكنها إدراكه، لذلك لا يمكنه أن يحصل على الأغلبية إلى جانبه... في النقطة التي أقف عندها حين أكتب أياً من كتبي، تقف الآن الأغلبية الساحقة في معظمها، لكنني أنا نفسي الآن لاأقف عند هذه النقطة، أنا في مكان آخر، آمل، أن يكون متقدماً أكثر. صحيح أن الدكتور ستوكمان ينتهي إلى هزيمة شنيعة، لكنه يرفض أن ينسحب من المعركة مع ما يسمى «رأي الجمهور» أو «الغالبية الساحقة» أو ما شابه ذلك من التعابير الشيطانية... فأنا أريد أن أسوق إلى أذهان أولئك الغوغاء أن الليبراليين هم أخبث الأعداء الذين ينبغي على الناس الأحرار أن يواجهوهم، وأن البرامج الحزبية تقصم ظهور الشباب والحقائق الحية جميعها، إن الاعتبارات العملية تقلب العدالة والأخلاق رأساً على عقب، فيصبح العيش في الحياة ببساطة لا يطاق». يخسر الدكتور ستوكمان المعركة من أجل ينابيع المياه، لكن معركته ضد الكذب والنفاق تستمر.

كُتبت مسرحيات إبسن بداية باللغة النرويجية، ثم أخذت تظهر ترجماتها إلى اللغات الأوروبية تباعاً. وقد أسهمت الترجمات الإنكليزية والدراسات النقدية المسرحية المكتوبة بالإنكليزية في انتشار إبسن في العالم الآنجلو ــ أمريكي وفي بلدان كثيرة. ويمكن النظر في ثبت مراجع أية دراسة حول مسرحيات إبسن كي تُظهر حجم الاحتفاء النقدي بمسرحياته حتى في أيامنا هذه، كما يمكننا أيضاً النظر في آراء نقاده من المعاصرين له ممن أبدوا آراءهم حول مسرحياته وبخاصّة مسرحية «عدو الشعب».

كتب إدموند غوس عام ١٨٨٢ معلقاً على الشخصية الرئيسة في المسرحية:

إن بطل مسرحية «عدو الشعب» هو على نحو ما هنريك إبسن نفسه في الحياة العملية، هو ناقد مكروه؛ لأنه يقول الحقيقة الواضحة لآذان لا ترغب في سماعها... فيُتهم بصوت عال بأنه عدو للشعب، ويُقاطع، ويُرجم بالحجارة، ويُقاد خارج البلد، لمجرد قوله بصوت مرتفع ما يقتنع كل شخص بداخله على أنه الحقيقة.

الرمز واضح وشفيف، والمسرحية هي حقيقة قطعة من الجدال الشخصي العنيف. والقصة يمكن أن تكون موضوعاً لرواية ماتعة، لذلك تتحمل المعالجة المسرحية بصعوبة. على أية حال، يبقى هذا العمل إلى حد بعيد صحيحاً مسرحياً من جهة عدم وجود علاقة شخصية بين الدكتور ستوكمان وإبسن نفسه، أو

حتى إنه قد لا يكون متحدثاً باسم إبسن وأفكاره، بل هو تمثيل لنموذج أو لمزاج معين، لكنه من النوع الواضح والمنسجم تماماً. إنه متطرف وبصورة حادة مع أن التطرف هو أمر مكروه بالنسبة إليه مثله مثل أي شكل من أشكال الخداع السياسي. وقواعد السلوك الوحيدة التي يعترف بها هي الصدق الكامل ومهما كان الثمن، والاعتماد على الذات الفردية مهما تعرضت للأذى. وطبقاً لهذا الكلام، بينما يُجمع النقد المسرحي الإسكندنافي على الاعتقاد أن مسرحية «عدو الشعب» ليست في طليعة الأعمال المسرحية التي كتبها إبسن، فيمكن أن نقول إنَّ شخصية الدكتور ستوكمان هي من أكثر الشخصيات أصالة، وبالنسبة إلي من أكثر الشخصيات تميزاً، ضمن إبداعات إبسن المسرحية، ثمة تشابهات كثيرة بينه وبين الكونت ليو تولستوي، سواء أكان إبسن يعرف شيئاً أم لا عن الحياة الخاصة أو عن شخصية الأديب الروسي الكبير حتى العام ١٨٨٢ لا أدري.

في مسرحية «عدو الشعب» بدت الروح الطبيعية عند الشاعر وكأنها تعزز من موجة المثالية الغاضبة العالية لديه. لقد صرح بأن الأكثرية مُدَجنة وجبانة ومنافقة، وهذا صحيح، لكنه وعد بأن الرجل الخير، حتى وإن كان وحيداً، يجد في مبدئه مكافأة له، ويشعر بالانتصار مثله مثل أبناء النور...

كما أبدى ويليام آرتشر رأيه حول المسرحية في العام نفسه قائلاً:

((لقد حاول الشاعر في هذه المسرحية بعناء تجنب أي تأثير للإثارة المسرحية، بيد أن الفكرة برمتها وكثيراً من المشاهد المنفردة مؤثرة بقوة، لكن الحالات المثيرة في مسرحيات مثل «أعمدة المجتمع» و «بيت الدمية» هي غائبة كلياً. ففي الأوضاع المضحكة الكثيرة، كما في حالات أخرى، تشبه هذه المسرحية مسرحية «رابطة الشباب» أكثر من المسرحيات التي كتبها سابقاً. فحواراتها تامة ــ لا يوجد كلمة واحدة تلقى جزافاً، ولا يوجد كلام متألق بصورة غير مناسبة، ولا يوجد كلمة واحدة مملة. وكل شخصية متفردة على نحو واضح، لذلك ستأخذ شخصية الدكتور ستوكمان مكانها اللائق يوماً ما ضمن مجموع الشخصيات التي أبدعها إبسن والتي من الممكن أن نتعاطف معها. ليس هناك في سائر مسرحياته مثل التقنية الدقيقة التي استخدمها في هذه المسرحية، حيث تلتحم الشخصية والحدث بصورة أكثر جدية. لعل بعضنا يرغب أن يعود الشاعر إلى طريقته المسرحية القديمة ويقدم لنا مسرحيات خيالية رائعة شعراً، لكنه طالما يقدم لنا مسرحيات مثل «عدو الشعب»، لا يوجد سبب وجيه يجعلنا نأسف لاستخدامه النثر والواقعية....))

وقد كتب إي . أ . بوغان عام ١٩٠٥ حول إبسن ومسرحيته:

من المعروف أن إبسن كتب «عدو الشعب» على أنها جواب على النقد العدائي الذي وُجه إلى مسرحية «الأشباح»، وليس

على نحو أولي كإسهام في نقاش يدور حول الأخلاق الاجتماعية والخاصة بأعمال البلدية... .

بالنسبة إلى محب المسرح العادي ليست المشكلات الاجتماعية المثارة في هذه المسرحية المفعمة بالحركة والمشاعر هي النقاط المهمة. إن هدف المسرحيات كلها هو السؤال الآتي: هل نجح الكاتب المسرحي في الحفاظ على تسلسل انتباه النظارة وتحريك مشاعرهم؟ قد توافق الدكتور ستوكمان على أن الفردية هي الموقف المطلوب أن يتخذه الرجل القوي، وأن الأقلية هي دائماً على صواب، أو أن الأغلبية الساحقة، حسب قول كارليل، هي بالتأكيد على خطأ، وقد تناقش مسألة إذا كان الواجب الأول للإنسان هو تجاه عائلته أو تجاه العائلة الأكبر أي مجتمعه الذي يعيش فيه، لكن حيوية هذه المسرحية لا تكمن في الأفكار التي تعبر عنها أو تقترحها. الكراسة الدينية أو السياسية لا تشكل مسرحاً.

إني أترك الإجابة عن هذه الأسئلة كلها إلى أقلام أكثر قدرة من قلمي. وجل ما أبغي معالجته هنا كثافة المسرحية التي مكنت إبسن من بنائها من المادة المتوافرة لديه. أعتقد هنا أن الجميع يوافق على أن المسرحية قوية، وأنها تحرك الكثير على نحو أصيل، إن مشهد رجل قوي وجريء يتحدى جيشاً من الجبناء أخلاقياً لابد أن يكون محركاً دائماً. وتمتاز هذه المسرحية بأنه ليس فيها وعظ. فالشخصيات هي شخصيات في مسرحية وليست

تجريدات فحسب أو دمى تتحرك في كراسة الكاتب المسرحي الصغيرة....

وقد كتب الممثل والمخرج المسرحي الشهير كونستانتين ستانسلافسكي (١٨٦٣-١٩٣٨) والمؤسس المشارك لمسرح موسكو الفني، عن مسرحية «عدو الشعب» في مقال بعنوان «نظام الفن الخلاق وطرائقه» نشره ديفيد ماغارشاك في كتاب حرره ونشره تحت عنوان: (ستانسلافسكي حول فن المسرح) عام ١٩٥٠:

حين كنت أعمل على دور ستوكمان، كان حب ستوكمان وتوقه للحقيقة الأمر الذي أثار اهتمامي بالمسرحية وبدوري فيها. لقد كان الحدس، والغريزة، ما جعلاني أفهم الطبيعة الداخلية لشخصية إبسن، بكل خصوصياتها، وطفولتها، وقصر نظرها، فهي التي ألقت الضوء على العمى الداخلي عند ستوكمان حيال نقائص البشر، وعلى موقفه الحميم تجاه زوجه وأطفاله، وعلى حبوره وحيويته. لقد وقعت تحت سحر شخصية ستوكمان، الذي يجعل كل أولئك الذي يحتكون به ويتعرفون إليه أناساً أفضل وأنقى ويظهر الجوانب الأفضل من طبائعهم في أثناء حضوره.

لقد كان حدسي الذي أوحى إلي بمظهر ستوكمان الخارجي، المتكوِّن بصورة طبيعية من عمق هذا الإنسان: فقد اتحد جسد الواحد وروحه بالآخر عضوياً، ستوكمان وستانسلافسكي. وبمجرد أن نظرت في أفكار ستوكمان وهمومه، تبدى أمامي

قصر نظره من تلقاء نفسه، رأيت انحناءة جسمه نحو الأمام ومشيته السريعة. رأيت الأصبعين الأول والثاني مشدودين إلى الأمام عفوياً وكأنهما يرميان للكبس على مشاعري وكلماتي وأفكاري لتنطلق باتجاه روح ذلك الإنسان نفسه الذي أتحدث إليه.

وقد كتب هارولد كلارمان في كتابه «إبسن» (لندن: ماكميلان، ١٩٧٧) حول شخصية ستوكمان في خاتمة نقاشه المسرحية:

إن هزيمة الشخصيات العظيمة مؤقتة، فهم يحرزون النصر بعد سنين من النضال الشاق. ويبقى ستوكمان على الرغم من ذلك متفائلاً حتى النهاية. إنهم الشباب كما يتصورهم هو، عبر أطفاله وخصوصاً ابنته بترا التي تتلفظ بالوقائع الحقيقية، والتي تقول، (في البيت يقولون لنا لا تتكلموا اضبطوا ألسنتكم، وفي المدرسة نعلم الأولاد الكذب)، إنها هي التي تربح اللحظة (ربما لحظة واحدة) ولكن بالنسبة إلى عائلة ستوكمان فهي تربح العالم كله.

لقد كتب مرة الكاتب الكلاسيكي الهادئ بول فاليري: إن المتطرفين يعطون العالم قيماً، والناس العاديون يجعلونه يستمر، أما الثوريون فيجعلونه جديراً بالعيش، والمعتدلون يجعلونه مستقراً. إن ستوكمان متطرف أو أنه يصبح كذلك مثل إبسن كما يظهر في هذه المسرحية. بيد أن هذا العالم يجب أن يحتوي على متطرفين إذا كان على مجتمعاتنا ألا تفسد أو تذوي إلى التسطح أو العدم.

لقد قيل إنَّ إبسن بعد مسرحية «عدو الشعب» أخذ بالتراجع في حربه الاجتماعية. ولكن من باستطاعته أن يؤكد ذلك تماماً. فردّاً على هذا الاتهام بأنه انسحب سريعاً من مواقفه التي اتخذها سابقاً، يبدو كما لو أنه قد أطلق تصريحه مثل والت ويتمان (هل أناقض بذلك نفسي؟ حسناً، أنا أناقض نفسي!).

د. فؤاد عبد المطلب

مقدمة مايكل ميير للترجمة الإنكليزية

كتب إبسن مسرحية «عدو الشعب» في روما، بين شهري آذار وحزيران من عام ١٨٨٢، بمدة تقل عن ستة شهور بعد استكماله مسرحية «الأشباح». ويحتمل أن يكون قد بدأ بالتخطيط لكتابتها منذ أوائل عام ١٨٨٠، ذلك أنه في السادس والعشرين من تشرين الثاني من ذلك العام، كتب إلى إدموند غوس بأنه كان: «مشغولاً في التفكير بمسرحية جديدة آمل إنجازها خلال الصيف». كما أن كلاً من لورينتز ديتريكسون وكريستوفر جانسون أفادا بأن حديثاً جرى مع إبسن في ذلك الوقت تقريباً، وأن إبسن شرح فيه عدداً من الآراء التي عقد العزم على التعبير عنها لاحقاً بلسان الدكتور ستوكمان. لكنه وضع هذا المشروع جانباً ريثما يكتب مسرحية «الأشباح»، وقد كتب إلى ناشره هيغل من غيلديندال أنها: «فكرة لطالما شغلت تفكيري، ومع مرور الوقت كانت تدهمني باستمرار حتى إني لم أعد أستطع تجاهلها».

غضب إبسن لما لاقته مسرحية «الأشباح» من استقبال عدائي في اسكندناقية، لدى ظهورها في كانون الأول ١٨٨١. وكتب إلى جورج براندیس في ٣ كانون الثاني ١٨٨٢: "ما عسى المرء أن يقول عن موقف اتخذته ما تسمى بالصحافة الحرة؟ هؤلاء القادة الذين يتحدثون ويكتبون عن الحرية والتقدمية، وفي الوقت نفسه يسمحون لأنفسهم بأن يكونوا عبيد الآراء المزعومة للمشتركين

في صحفهم! لقد زادت قناعتي بأن هناك شيئاً مثبطاً للعزيمة حيال اشتراك المرء في السياسة، أو الانتساب إلى حزب ما. لن أرتبط أبداً، وتحت أي ظرف من الظروف، بأي حزب تؤيده الأغلبية. يقول بيورنسون: «الأغلبية دائماً على صواب». أظن أن عليه قول ذلك كونه سياسياً متمرساً. لكنني أقول: «الأقلية دائماً على صواب». وأنا بالطبع لا أعني الأقلية من الرجعيين الذين خلَّفهم الحزب المركزي الكبير وراءه والذي نسميه «حزب الأحرار». بل أعني الأقلية التي تشق طريقها في أرض لم تصل إليها الأغلبية بعد. أعتقد أنه على صواب من يهيئ نفسه للمستقبل... والحرية بالنسبة إلي هي الشرط الأول والأسمى للحياة. لا يهتم الناس في الوطن بالحرية كثيراً، بل بالحريات فقط – أكثر أو أقل، تبعا لمنطلقات حزبية. أشعر أنني متألم للغاية بهذه السوقيّة، وهذا الابتذال في مناقشاتنا العامة. لقد قطع الناس دون قصد شوط طويلا على طريق تحويلنا إلى مجتمع غوغائي، وذلك في أثناء جهودهم القيّمة التي لا تُنكَر لتحويل بلدنا إلى مجتمع ديمقراطي. ويبدو أن أرستقراطية الفكر لا تتمتع بقاعدة قوية الدعم في النرويج".

في آخر الشهر نفسه (٢٤ كانون الثاني ١٨٨٢)، كتب إبسن إلى أولاف سكاڤـلان: "أنا شخصياً، وأنا فقط، مسؤول عما أكتب. لا يمكنني أن أحرج أي حزب، لأنني لا أنتمي لأي حزب. أريد أن أتصرف وحدي بوصفي قناصاً في المواقع

الأمامية وأتحرك بمفردي... فهل يُسمح للرجال في النرويج أن يعملوا من أجل الحرية في المجال السياسي فقط؟ أليست روح الإنسان في المقام الأول هي التي تحتاج إلى تحرير؟ إن عبيداً روحانيين مثلنا لا يمكنهم حتى الإفادة من الحريات التي حصلوا عليها سابقاً. إن النرويج بلد حر يقطنه عبيد الأرض."

بصورة اعتيادية، سمح إبسن لثمانية عشر شهراً أن تمر بين إنجاز مسرحية والبدء بأخرى(1)، لكنه في ١٦ آذار فاجأ هيغل حين كتب: «أستطيع إخبارك أنني الآن مشغول تماماً بالإعداد لمسرحيتي الجديدة. هذه المرة ستكون عملاً سلمياً يمكن لرؤوساء وزارات قراءته وكذلك تجار الجملة وزوجاتهم أيضاً. ولن يحتاج المسرح لأن يُحجم عنه. يجب ألا أواجه صعوبة في صقل تلك المسرحية، وسأحاول أن أنجزها في أوائل الخريف». فما ان وجد نفسه وقد تقدم على جدول العمل، قام في ٢١ حزيران بالكتابة إلى هيغل وهو لا يزال في روما: «أنهيت البارحة

---

(1) . بين عام ١٨٧٧ الذي أنهى فيه مسرحية «أعمدة المجتمع» وعام ١٨٩٦ الذي كتب فيه مسرحية «جون غابرييل بوركمان»، مثلت مسرحية «عدو الشعب» الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة. وقد جاءت مسرحية إبسن الأخيرة «عندما نستيقظ نحن الموتى» بعد ثلاث سنوات من «جون غابرييل بوركمان»، وهذا عائد إلى حد كبير إلى أنه في عام ١٨٩٨ جرى التحضير للاحتفال بعيد ميلاد إبسن السبعين.

مسرحيتي الجديدة. وهي بعنوان «عدو الشعب»، وتتألف من خمسة فصول. لست متأكداً بعد هل أسميها كوميديا، أو أسميها ببساطة مسرحية. ففيها كثير من صفات الكوميديا، لكنها تحتوي أيضاً موضوعاً جاداً رئيساً... في غضون أيام قليلة سأبدأ بالنسخة النهائية، والتي ستكون جاهزة عند أقرب فرصة في نهاية تموز. وسأرسل إليك المخطوطة على مراحل كالعادة.»

لسوء الحظ لم تتوافر أية ملاحظات أو مسودة أولية لمسرحية «عدو الشعب»، لذا لا نعرف بالضبط – كما هي حال معظم مسرحياته الأخرى – كم من الوقت استغرق في كتابة كل فصل، وما التغييرات التي أجراها على فكرته الأصلية.

في بداية آب، غادر روما إلى غوسينساس في تيرول، ومن هناك، في ٢٨ آب، أرسل النسخة النهائية إلى هيغل وفيها الفصول الأربعة الأولى، شارحاً بأن: «الخامس سيأتي بعدها ببضعة أيام، إذ إنني أنجزت نصفه. والسبب في أن المخطوطة ستصل متأخرة إلى حد ما عن الوقت المذكور في رسالتي السابقة، هو أنني نسخت المسرحية كاملة مرتين بخط يدي لأحقق أقصى درجة إتقان في الحوار». وقد أرسل الفصل الخامس والأخير في التاسع من أيلول. وكتب إبسن: «لقد استمتعت بالعمل في هذه المسرحية، وأشعر بالحرمان والفراغ لأنني ابتعدت عنها. لقد انسجمت أنا والدكتور ستوكمان بشكل رائع، فنحن متفقان في عدة أشياء، لكن الدكتور يحمل بين كتفيه رأساً

أكثر تشويشاً من رأسي، بالإضافة إلى أنه يتصف ببعض الصفات التي ستجعل الناس يتغاضون عن عدة أشياء يتلفظ بها؛ أشياء لن يقبلوها بسهولة لو تلفظت بها أنا. وأعتقد أنك ستشاطرني هذا الرأي لو بدأتَ بقراءة المخطوطة».

تمت طباعة ١٠،٠٠٠ نسخة من مسرحية «عدو الشعب» من قبل غيلديندال في كوبنهاغن، في ٢٨ تشرين الثاني ١٨٨٢(على الرغم من المبيعات الفاجعة لمسرحية «الأشباح»). كان استقبالها مختلطاً، وليس غريباً أن ملاحظات الدكتور ستوكمان القاسية حول الأحزاب السياسية أثارت النقاد والصحفيين كلهم الذين ينتمون لأي من تلك الأحزاب. كانت الدوائر الليبرالية بالتحديد عديمة الاكتراث، وقد رفضها سترندبرغ واصفاً إياها بأنها «ذات جمالية لا تحتمل» (الكلمة الحديثة قد تكون «غير ملتزمة»). لكن المسارح تهافتت على عرض المسرحية. ومسرح كريستيانيا والمسارح الملكية في كوبنهاغن وستوكهولم – التي رفضت «الأشباح» على أنها غير مناسبة للعرض أمام العامة – حصلت مباشرة على حقوق إنتاج «عدو الشعب»، وعلى ما يظهر أنها لم تتأثر بأن موضوع المسرحية آنفة الذكر كانت حول عدم وجود قيمة لأولئك الذين«لا يجرؤون»، وكانت نتيجتها «أن أقوى رجل في العالم ذلك الذي يقف وحيداً». وقد عُرضت المسرحية على مسرح كريستيانيا في ١٣ كانون الثاني ١٨٨٣، وفي بيرغن في ٢٤ كانون الثاني، وفي غوتنبرغ في شباط، وفي ستوكهولم

وكوبنهاغن في آذار. وقد اُستقبلت بمودة في البلدان الثلاثة، لكن من دون حماسة زائدة. ومن الغريب أنها لم تعرض في ألمانيا حتى عام ١٨٨٧، وذلك بالنظر إلى شعبية «أعمدة المجتمع» و«بيت الدمية»، والاهتياج الذي سببه نشر «الأشباح».

في عام ١٨٩٢، تم تمثيل «عدو الشعب» في نيويورك، باللّغة الألمانية(١). وفي السنة التالية مَثّلها لونييه- بو مسرحياً في باريس على مسرح اللوڤر. وكتب آرتشر: "في الليلة الأولى، كانت المسرحية مسبوقة بمحاضرة ألقاها م. لورينت تيلهيد، والتي لم تعرض كثيراً للمسرحية، بقدر ما كانت هجوماً عنيفاً على كل «القادة» في السياسة والأدب الفرنسيَين. بالمقارنة مع الخطاب الرنان للدكتور ستوكمان في الفصل الرابع من المسرحية يبدو معتدلاً، ومعسول اللسان تقريباً... وقد استمع الجمهور - مع شيء من الاحتجاج - إلى خطبة م. تيلهيد اللاذعة، حتى ظنَّ الأخير أنّه من الملائم أن يصف الاحتفال الفرنسي-الروسي الذي حدث مؤخراً بأنه جنون جماعي. في هذا الوقت بالذات انفجرت عاصفة من الغضب، استمرت دون توقف

---

(1) . كانت عدة من العروض الأمريكية الأولى لإبسن بلغة أخرى غير الإنكليزية، وذلك بسبب النسبة المرتفعة، في تلك الأيام، للجيل الأول من المهاجرين الأوروبيين. أما العرض العالمي الأول لمسرحية «الأشباح» فكان في تشيكاغو باللغة النرويجية (أو بمزيج من اللغتين النرويجية والدنماركية).

مدة ربع ساعة، ولم تهدأ على الرغم من تدخل م. لونييه- بو لإيقافها. وانتهت المحاضرة وسط فوضى عارمة، وكان المشهد التمهيدي كله في قاعة الاستماع أشبه بأداء تدريبي جريء للاجتماع الذي عُقد في منزل الكابتن هورستر.

وفي عام ١٨٩٣ قدم هربرت بيربوم تري مسرحية «عدو الشعب» في انكلترا على مسرح هيماركت- وهي أول مسرحية لإبسن تجذب انتباه ممثل-مدير مسرح عصري، وتتلقى عناية كاملة في منطقة الوست إند في لندن. وقد وجد آرتشر أنَّ النص «مشوه على نحو رهيب» وأن الإنتاج «بلا ريب أدنى من مستوى ما يسمى بعروض «الخربشات» التي اعتدنا عليها». اعتقد برنارد شو أن عرض تري الخاص «على الرغم من أنه ظريف وممتع في أسلوبه، شكّل القطب المخالف لستوكمان في مسرحية إبسن، من ناحية تكوين الشخصية». لكنّ الإنتاج كان ناجحاً، وقد أعاده تري عدة مرات، وأخذه إلى أمريكا عام ١٨٩٥ إذ تكرر نجاحه هناك. مع ذلك. ولأسباب سنناقشها لاحقاً، بمعزل عن الحفلة النهارية الوحيدة عام ١٩٢٨ احتفالاً بالذكرى المئوية لولادة إبسن، شهدت مدينة لندن فقط إنتاجاً واحداً لمسرحية «عدو الشعب» منذ عرض تري، في عام ١٩٣٩، حين أخرجها تيرون غوثري على مسرح أولد ڤيك مع روجر ليفيسي بدور ستوكمان، وإدوارد تشابمان بدور رئيس البلدية. وقد مثلها جوان ليتلوود في مسرح ستراتفورد إيست عام ١٩٥٤، مع

هاوارد غورني بدور ستوكمان، وهاري كوربيت بدور رئيس البلدية، حيث تجري الأحداث في منطقة لانكشاير، ولكن، كما علق ت. س. ورسلي، كانت فرقة الورشة المسرحية «أقل سعادة بسبب الأسلوب الطبيعي أكثر من أي شيء آخر في المسرحية».

وفي عام ١٩٠٥ كانت مسرحية «عدو الشعب» سبباً للتظاهر بشكل ملحوظ أكثر مما تسببت به في باريس. وقعت الحادثة في مسرح الفنون في موسكو، وقد وصف كونستانتين ستانسلافسكي، الذي كان يؤدي دور الدكتور ستوكمان، الحادثة بشكل مؤثر في سيرته الذاتية «حياتي والفن»:

«في ذلك الوقت من الاضطراب السياسي – قبل الثورة الأولى بمدّة وجيزة – كانت مشاعر الاحتجاج قوية جداً في مجالات المجتمع كلها. كانوا ينتظرون البطل الذي سيخبرهم الحقيقة بقوة وشجاعة وهو بين فكّي الحكومة قابضين عليه. لا عجب أن صورة الدكتور ستوكمان حازت مباشرة الشعبية في موسكو، وخاصة في بتروغراد. وأصبحت «عدو الشعب» المسرحية المفضلة عند الثوريين، وعلى الرغم من حقيقة أن ستوكمان نفسه يكره الأغلبية الصمّاء ويؤمن بالأفراد الذين يأتمنهم على قيادة الحياة. لكن ستوكمان ثار، فقد قال ستوكمان الحقيقة، وكان هذا يعد كافياً».

"في ذكرى المجزرة المعروفة في ساحة كازانسكي(*)، كانت مسرحية «عدو الشعب» تُمثَّل على مسرحنا. كانت نسبة الحضور العالية تلك الليلة من أهل الفكر والأساتذة والعلماء في بتروغراد. وأذكر أن الصفوف الأمامية من قاعة المسرح كانت ممتلئة كلها تقريبا برؤوس شائبة. وبفضل الأحداث الحزينة في ذلك اليوم، كان جمهور المسرحية في غاية الاستثارة وينفعل عند سماعه حتى أضأل التلميحات إلى الحرية في كل كلمة من كلمات احتجاج ستوكمان. وفي أماكن غير متوقعة في المسرحية، يجتاح العرض عاصفة من التصفيق.... أما عن الجو العام في المسرح، فقد كنا نتوقع حدوث اعتقالات وإيقاف العرض في أية لحظة. أما الرقباء الذين حضروا عروض «عدو الشعب» كلها وكانوا يتأكدون من أنني في أدائي دور الدكتورستوكمان أتقيد بنص الرقابة، وكانوا يفتعلون مشكلة في كل مقطع لم توافق عليه الرقابة، لأن رقابتهم كانت هذه الليلة أشد من ذي قبل. وكان علي أن أضاعف حرصي. فحين يُقتطع كلام من دور ما مراراً وتكراراً، فليس من الصعب ارتكاب الأخطاء وزيادة الكلام أو إنقاصه. ففي آخر فصل من المسرحية، يجد الدكتور ستوكمان –

(*) مذبحة ساحة كازانسكي: جرت في يوم أحد من كانون الأول عام ١٩٠٥ في روسيا، وسُمي ذلك اليوم «الأحد الدامي» حيث شهدت الساحة مذبحةً شنيعة أمام قصر الشتاء ومبنى الهرميتاج.

وهو يرتب غرفته التي رشقتها الحشود بالحجارة – معطفه[1] الأسود في غمار الفوضى العارمة، ذلك الذي ظهر فيه في الاجتماع أول أمس. وعندما وجد ستوكمان شقاً في الثياب، قال لزوجه: على المرء ألا يلبس أبداً معطفاً جديداً حين يخرج ليناضل من أجل الحرية والحقيقة".

"وقد ربط الجمهور في المسرح هذه الجملة بمجزرة ساحة كازانسكي، فمن المؤكد أن أكثر من معطف جديد تمزق باسم الحرية والحقيقة. وعلى نحو غير متوقع، أثارت كلماتي جلبة اضطررنا على إثرها لإيقاف العرض، حيث وقع مشهد غوغائي حقيقي ارتجالي. وهناك اتحد الممثل والجمهور الذين قاموا بأنفسهم بأداء دور الممثل الرئيس في المسرح، وهذا العمل الغوغائي نفسه هو الذي يتحدث عنه بكثرة الباحثون النظريون في الفن. إذ نهض جميع المشاهدين من أماكنهم واندفعوا تجاه أضواء مقدمة المسرح. ولأن خشبة المسرح كانت منخفضة ولم يكن عازفو الموسيقى أمامها، رأيت مئات الأيدي تمتد نحوي، وكنت مجبراً على مصافحتها كلها. قفز الشباب من الحضور إلى خشبة المسرح وعانقوا الدكتور ستوكمان. لم يكن من السهل

---

(1) بالأحرى بنطاله.

إعادة النظام ومتابعة المسرحية. واكتشفت ذلك المساء من خلال تجربتي القوة المؤثرة التي يمكن أن يمارسها المسرح»[1].

على الرغم من أن الاستقبال العام لمسرحية «الأشباح» كان إلهاماً مباشراً لمسرحية «عدو الشعب»، لم تكن الآراء التي عبر عنها إبسن في مسرحية «عدو الشعب» جديدة عليه. فإننا نراها بشكل مستمر في مراسلاته الأولى، وبخاصة في رسائله إلى الناقد الدنماركي جورج برانديس. ففي أوائل عام ١٨٧١، أي قبل بدئه بمسرحية «عدو الشعب» بإحدى عشرة سنة، صرح لبرانديس قائلاً: «لا يمكنني أبداً أن أنظر إلى الحرية بوصفها مرادفة للحرية السياسية. ما تسميه أنت حرية، أسميه أنا حريات، وما أسميه قتالاً من أجل الحرية لا يعني شيئاً غير السعي الحي والأبدي للحرية. إن من يمتلك الحرية بطريقة تختلف عن كونها هدفاً يتم السعي من أجله، فهو يملك شيئاً ميتاً بلا روح. ذلك أن جوهر الحرية هو أنها تنمو بعد أن ينالها الفرد، لذا إذا وقف أي

---

(1) . وعلى نحو مماثل، في أثناء العرض الأول في باريس- التي جرى أيام قضية دريفوس- تعرف الجميع إلى ستوكمان على أنه إميل زولا، بالنسبة إلى لونييه- بو. وقد تم اختيار المسرحية عمداً من أجل أول إنتاج مسرحي لإبسن في إسبانية (في برشلونة، ١٤ نيسان ١٨٩٣) لمساعدة المعارضة المنظمة لإعادة النظام في الحكومة والصناعة، ومن أجل أول إنتاج ياباني للمسرحية (في طوكيو عام ١٨٩٨) بوصفها احتجاجاً على التسرب الخطير من مصنع كيميائي.

شخص في أثناء المعركة وقال: «الآن حصلت عليها!» ، فهو يُفصح بهذه المقولة إلى أنه قد أخذ يفقدها.»

وفي ٢١ آذار من عام ١٨٧٢، أكد إبسن لفريدريك جيرتسن أن: «مبدأه الأساسي في كل سياق وموقف تحديداً هو أن الأقلية دائماً على صواب». وفي الشهر التالي كتب إلى برانديس: (صديقي العزيز، إن أعضاء حزب الأحرار هم ألد أعداء الحرية. فالحرية الفكرية والروحية تزدهر بصورة أفضل في ظل الاستبداد، وقد. ثبت هذا في فرنسا، ومن بعدها في ألمانيا، وحالياً يتم تأكيد ذلك في روسيا... وفيما يخص هذا الاهتياج الذي كان يُصعَد ضدك، مع ما فيه من كذب وطعن في الظهر وغيره، دعني أقدم لك نصيحة أعلم أنها فعالة من باب خبرتي الشخصية: كن أرستقراطياً! فالأرستقراطية هي السلاح الوحيد ضد هذا النوع من الأشياء. أظهر لا مبالاة، ولا تكتب أبداً أي رد في الصحف. إذا جادلت في كتاباتك، فلا توجه جدالك أبداً بوصفه هجوماً ضد هذا الهدف المعين أو ذاك. ولا تكتب ولو كلمة واحدة تبين أن أعداءك وجدوا أنفسهم في كلامك. باختصار، تصرف وكأنك لا تملك أدنى فكرة أن هناك من يعارضك.)

بعد نشر «بيت الدمية» بأسبوعين، أي في ١٩ كانون الأول من عام ١٨٧٩، كتب إلى لورينتز ديتريكسون: «يبدو من المريب بالنسبة إلي إذا كان من المفيد الحصول على ظروف فنية أفضل في بلدنا هذا قبل أن تُحرث التربة الثقافية حرثاً جيداً،

ونُنظَف وتُجَفف من كل مستنقعاتها.» كان هذا كلاماً مجازياً عاد إليه في مسرحية «عدو الشعب». كما نقل كريستوفر جانسون – وهو الكاتب الذي كان على نحوٍ ما أصَّلَ شخصية هجلمار إكدال في مسرحية «البطة البرية»– في حديث أجراه مع إبسن مساء عيد رأس السنة، عام ١٨٨٠، حين كان يُعتقد أن إبسن يضع أفكاره الأولى لمسرحية «عدو الشعب». ثار إبسن: «الأغلبية؟ ما هي الأغلبية؟ جمهور من الجهلة! الفطنة موجودة دائماً عند الأقلية. كم من الأغلبية مؤهلون برأيك لاتخاذ رأي؟ معظمهم مجرد كلاب يرافقون الرعاة».(١)

كتب إلى براندیس في الحادي والعشرين من أيلول من عام ١٨٨٢، وبعد مدّة قصيرة من إنهاء إبسن مسرحية «عدو الشعب»: «حين تصل إليك مسرحيتي الجديدة، ربما ستتمكن من فهم مدى الاهتمام، وربما أيضاً المرح الذي حصلت عليه حين تذكرت كثيراً الملحوظات المبعثرة والمتقطعة التي كتبتها في رسائلي إليك». وبعد تسعة أشهر، بعث إليه أيضاً يخبره بإضافة

---

(١) وذات مرة قدم ملاحظة إلى جانسون: "الناس الذين أتعاطف معهم حقاً هم العدميون والاشتراكيون. إذا أرادوا شيئاً فإنهم يسعون إليه من قلوبهم، وهو منسجمون مع أنفسهم. لم يعترض إبسن، حين قام برنارد شو عام ١٨٩٠، بالمطابقة بين «الإبسنية» و«الاشتراكية» لكنه اعترض بالفعل حين صرّحت بعض الجرائد أنه لا علاقة له بالاشتراكية".

ملحق مثير للغضب في المسرحية. وصرح بأن: « المفكر الرائد لا يمكنه أبداً أن يجمع الأغلبية من حوله. فقد تتمكن الأغلبية بعد عشر سنوات من الوصول إلى النقطة التي وقف عندها الدكتور ستوكمان حين عقد الناس اجتماعهم. لكن خلال تلك السنوات العشر لن يبق الدكتور ساكناً بلا حراك، فلا يزال على الأقل متقدماً بعشر سنوات على الآخرين. والأغلبية، والجماهير، والغوغاء، لن يتمكنوا أبداً من اللحاق به. وهو لا يستطيع أبداً أن يجمعهم من ورائه. وأنا شخصياً أشعر أيضاً وبصرامة بضرورة المضي قدماً. فالآن يقف حشد حيث وقفت أنا حين كتبت أولى كتبي. لكنني الآن لم أعد هناك. أنا في مكان آخر – متقدم عليهم بكثير – أوآمل أن أكون كذلك. حالياً، أسعى جاهداً إلى كتابة مسرحية جديدة تتألف من أربعة فصول...» هذه المسرحية الجديدة، والتي تلت مسرحية «عدو الشعب»، هي مسرحية «البطة البرية».

تأتي حبكة مسرحية «عدو الشعب» في الأصل من حادثتين حقيقيتين أثارتا اهتمام إبسن. فقد أخبره ألفرد ميسنير، وهو شاعر ألماني شاب تعرف إليه في ميونيخ، كيف انتشرت الكوليرا حين كان والده طبيباً موظفاً في مصحة بلدة تيبليتز في الثلاثينيات، وكيف شعر والده أن من واجبه أن ينشر خبرها بين الناس. وبالنتيجة، تخرب الموسم، وغضب مواطنو تيبليتز جداً لدرجة أنهم رشقوا منزل الدكتور بالحجارة وأرغموه على مغادرة البلدة.

ثم وقعت حادثة في النرويج مع صيدلاني يدعى هارالد تاولو. ذلك أن تاولو استمر قرابة عشر سنوات في مهاجمة المطابخ البخارية في كريستيانيا لأنها تجاهلت واجباتها تجاه فقراء البلدة. وقد ألقى خطاباً عنيفاً حول هذا الموضوع عام ١٨٧٤، حين عاد إبسن لزيارة النرويج. وقد حاول تاولو، في ٢٣ شباط من عام ١٨٨١، وقبل وفاته بأسبوعين، أن يقرأ خطاباً أعده بمناسبة الاجتماع السنوي العام عن المطابخ البخارية. حاول رئيس الاجتماع منعه من التكلم، وفي النهاية أجبره الجمهور على البقاء صامتاً ضمن أجواء من الفوضى. قرأ إبسن تقريراً عن هذا الاجتماع في صحيفة «أفتنبوستن» في التوقيت نفسه الذي وصلت فيه نقمته على الاستقبال الذي تلقته مسرحية «الأشباح» إلى ذروتها. ولا بد أنه لمس في الصيدلاني العجوز غريب الأطوار روحاً قريبة جداً من روحه. يستحق التقرير الذي كُتب في الصحيفة أن يُستشهد به:

تاولو: لن أتوقف، وليس لديك الحق بإيقافي سيدي الرئيس. (يتابع). النقطة العاشرة –

قنصل هيفتي: يجب إيقاف السيد تاولو!

يتابع تاولو. ويظهرالعديد من الحضور استياءهم من خلال المشي ضمن القاعة. يسأل رئيس المجلس السادة الأعضاء فيما إذا كان من حقه أن يمنع السيد تاولو من الصعود إلى المنصة. موافقة بالإجماع «نعم». يطلب

رئيس المجلس مجدداً من السيد تاولو التوقف عن القراءة.

تاولو: لن أصمت.

رئيس المجلس: في هذه الحالة سوف –

تاولو: سأوجز كلامي جداً. (يتابع القراءة)

قنصل هيفتي: هل يُسمح له بالمتابعة؟

تاولو (يتابع القراءة): إن الإنجازات المجيدة لمطابخ كريستيانيا البخارية – سأنتهي حالاً –

قنصل هيفتي: إذا استمر الوضع هكذا، فلن يستمر الاجتماع.

رئيس المجلس: آسف لأن علي مقاطعة السيد تاولو. اترك المنصة –

تاولو يستمر في القراءة.

قنصل هيفتي: اصمت، وإلا فسنرميك خارجاً.

تاولو: آه، حسناً.

يجلس تاولو في النهاية. وبعد أن يقرأ رئيس المجلس تقريره لبضعة دقائق–

تاولو:... هذا كثير جداً. لا فائدة من محاولة معارضة الغوغاء.

قنصل هيفتي: هل سمع رئيس المجلس السيد تاولو وهو يشير إلينا بالغوغاء؟...

في النهاية، غادر السيد تاولو الاجتماع غاضباً، وهو يقول: لم يعُد هناك شيء أفعله لكم هنا. لن أرمي لآلئي في الرمل. إنها إهانة بكل معنى الكلمة سأتوجه لأناس أحرار في مجتمع حر.أنا ذاهب الآن! قفوا في الزاوية مثل الأغبياء واخجلوا من أنفسكم!

من المحتمل أن عضواً إنكليزياً في البرلمان أسهم بشيء ما في المسرحية. كان تشارلز برادلو، الذي نجا بصعوبة من السجن لمشاركته في كتيب يدافع عن تحديد النسل، (في الواقع صدر الحكم بحقه، لكنه هرب في مرحلة الاستئناف)، قد انتخب عضواً متطرفاً في البرلمان عن نورثامبتون عام ١٨٨٠، لكنه حُرم من مقعده على أساس اعترافه أنه مفكر حر معترف به وأن القَسَم لن يُلزِمه. جرت انتخابات جديدة في نورثامبتون، وكان يعود للمجلس في كل مرة، لكنه كان يُستبعد. وفي عام ١٨٨١، طُرِدَ بالقوة من البرلمان بوساطة عشرة رجال شرطة. وبقيت الحال كذلك حتى عام ١٨٨٦ حتى منحه رئيس آخر للبرلمان الحق بالقسم والاشتراك في المجلس. «يجب أن تسمع ما قاله إبسن عن برادلو – فقد كان يؤيده كثيراً»، هذا ما كتبه ويليام آرتشر إلى أخيه تشارلز في الرابع عشر من آذار عام ١٨٨٢، حين كان إبسن سَيُبَاشِر كتابة مسرحية «عدو الشعب». وكان برادلو يشبه الدكتور ستوكمان لدرجة كبيرة.

لكنّ شخصية ستوكمان نفسه بُنيت أساساً على اثنين من معارف إبسن القدماء، وكلاهما كاتبان مميزان: جوناس لاي

وبيورنستيرن بيورنسون. قابل إبسن لاي من جديد في بيركتسغادن الصيف الماضي عام ١٨٨٠، فوجده مرتبكاً، وحنوناً، ومتقلباً وعديم الصبر كعادته. يشترك بيورنسون معه في الحنان وعدم الصبر، إضافة إلى الفصاحة والشعور العائلي القوي والمقدرة غير المحدودة على الغضب الأخلاقي. لكن يجب ألاّ ننسى، حين نأخذ في اعتبارنا أصول ستوكمان، أن إبسن ذاته حين كان شاباً يافعاً كان خطيباً مفوهاً وحماسياً في القضايا التي يتأثر بها. وقد وصفه لورينتز ديتريكسون حين خطب في حشد من الجالية الإسكندنافية في روما عام ١٨٦٤، في موضوع الحرب الدنماركية–الألمانية. «الأسى كله الذي اختزنه في داخله لزمن طويل، والنقمة العارمة والعاطفة المتقدة كلها تجاه القضية الإسكندنافية التي كبحها لزمن طويل وجدت لها متنفساً عندئذٍ. بدأ صوته يرن، وفي الغسق لا يستطيع المرء أن يرى سوى عينيه المتقدتين. وحين انتهى، لم يكن هناك من يرفع كأسه أو يقول براڤو، لكنني أعتقد أننا كلنا شعرنا أنه في تلك الليلة علا صوت نشيد مارسيليس الشمال في أجواء تلك الليلة الرومانية». وهذا ليس بعيداً جداً عن الدكتور ستوكمان في الفصل الرابع، وما يستحق الذكر هنا أن المنزل الذي ولد فيه إبسن في «سكيين» كان يسمى ستوكمانزغاردن.

أسلاكسن، الذي يعمل في الطباعة، شخصية من شخصيات مسرحية «عدو الشعب»، وقد ظهرت سابقاً في مسرحية «عصبة

الشباب» التي أنجزت عام ١٨٦٩. ظهر فيها على أنه سكير صغير حزين، أما في مسرحية «عدو الشعب» فقد أصبح كتلة من الاحترام والاعتدال. أما مورتن كيل، «الغُرَير»، فقد تم تصميمه ليكون شخصية من شخصيات مسرحية «أعمدة المجتمع». وقد ظهر في الملاحظات التحضيرية لتلك المسرحية، لكنه لم يُوضع في المسودة الأخيرة. وُصف إبسن، مثل وصف بتن مولدر للسيد في مسرحية «بير جنت»، بأنه:

رجل مقتصد...

فهو لا يرمي أي شيء

يمكن استخدامه ثانية كمادة خام

في أواخر تشرين الأول من عام ١٩٦٤ طُبِع عدد من رسائل إبسن، التي لم تُنشر سابقاً، بصورة شخصية وفي طبعة محدودة[1]، من بينها ثلاثة رسائل ذات أهمية خاصة يتحدث فيها إبسن بالتفصيل عن شخصيات مسرحية «عدو الشعب». وقد بعث هانز شرويدر – مدير مسرح كريستيانيا الذي كان قد رفض مسرحية «الأشباح» وهي ذكرى ظلت مؤلمة لهذا الرجل سيء الحظ طوال حياته– بتلغراف إلى إبسن في روما ليسمح له بالعرض الأول لمسرحية «عدو الشعب». وافق إبسن، لكنه

---

(1) . مراسلات هنريك إبسن مع مسرح كريستيانيا ١٨٧٨–١٨٩٩، حرره مع تعليق أويـــڤيند آنكر (غيلديندال نورسك فورلاغ، أوسلو، ١٩٦٤).

أغضبهم حين طلب أن يدفعوا له مكافأة قدرها ٤٠٠٠ كرون (وكان قد سمح لهم بأن يأخذوا مسرحية «بيت الدمية» مقابل ٢٥٠٠)، وبعد أسبوع، في ١٤ كانون الأول ١٨٨٢، كتب إلى شرويدر من روما:

"اسمح لي أن أوجه إليك بضعة أسطر تتعلق بالإنتاج القادم لمسرحية «عدو الشعب». ليس في نيتي أو رغبتي محاولة التأثير في الإخراج المسرحي أو في أداء الأدوار في غياب المؤلف، لكن التعبير عن بعض المشاعر التي أحملها تجاه جوانب متنوعة في المسرحية لا تؤذي. إنني واثق من افتراضي أن السيدة وولف ستؤدي دور السيدة ستوكمان.... أما فيما يتعلق بدور هوفستاد، فإن أردت اختيار ممثل مناسب للدور، فعليك انتقاءه بحيث لا تكون شخصيته بطولية للغاية. هذا هو نوع الرجل الذي عليك اختياره. هوفستاد هو ابن عائلة فقيرة، تربى في بيت متسخ وعلى طعام قليل وبائس. وقد عانى خلال طفولته ظروفَ البرد الشديد والعمل المضني. وفيما بعد، حين غدا شاباً ابتُلِي بالفقر وتابع حياته متحملاً العوز والحرمان. إن ظروفاً معيشية كهذه تترك أثرها في المظهر الخارجي للإنسان، وليس فقط في روحه. وإن وجدت بين العامة رجالاً يملكون مظهراً بطولياً فهو أمر استثنائي. ومهما كانت الظروف فلا بد أن يكون مظهر هوفستاد كئيباً نوعاً ما ومنكمشاً ومتذللاً، وغير واثق في حركاته. وكل هذه الأمور طبعاً يجب أن تُصوَّر بصورة طبيعية جداً. أسطر

شخصية بيلينغ فيها كلام كثير؛ لذا تتطلب لهجة الساحل الشرقي لا لهجة مثل لهجة أهل بيرغن. وهو بالأصل شخصية من الساحل الشرقي. وقد أساء ناقد دنماركي فهم شخصية الكابتن هورستر على نحو مضحك. فقد وصف هورستر بأنه رجل عجوز، وأنه صديق قديم للدكتور ستوكمان، الخ. وهذا بالطبع شيء خاطئ تماماً. فهورستر شاب، من الشباب الذين يبتهج الدكتور لشهيتهم القوية، على الرغم من أنه زائر نادر للمنزل لأنه يكره صحبة هوفستاد وبيلينغ. وسابقاً في الفصل الأول، لا بد أنه تمت الإشارة بشكل طفيف إلى اهتمام هورستر ببترا، وخلال الأحاديث المختصرة المتبادلة بينه وبينها في الفصل الخامس، لا بد أن نشعر أنهما الآن يقفان على عتبة علاقة عاطفية عميقة.

لا بد من إرشاد كلا الطفلين بحرص، ليتضح الفرق بين شخصيتيهما. وألتمس منك استخدام كل ممثل يكون تحت تصرفك في الفصل الرابع. ولا بد أن يفرض المخرج المسرحي هنا أقصى درجات الطبيعية ويمنع بالتحديد أية سخرية أو مبالغة. وكلما وضعت شخصيات واقعية في الحشد كان أفضل للعرض.

وطوال العرض المسرحي، على المخرج أن يلحّ بشدة على كل ممثل أو ممثلة ألاّ يحور الكلام في دوره. فيجب أن يلفظ الدور كما كتب في النص تماماً. ويُستحسن أن يكون الإيقاع حيوياً. في آخر مرة كنت فيها موجوداً في مسرح كريستيانيا، بدا

لي إيقاع الكلام بطيئاً. لكن فوق كل ذلك،يجب أن يكون هناك إخلاص للطبيعة – أي وهم أن كل شيء حقيقي، وأن المرء يجلس ويشاهد شيئا يحدث فعلاً في الحياة الواقعية. ليس من السهل تمثيل مسرحية «عدو الشعب». فهي تتطلب بشكل استثنائي طاقماً تمثيلياً مدرباً على نحو جيد، أي القيام بتدريبات مسرحية مطولة يتم الإشراف عليها بدقة. لكنني أعتمد على الإرادة الطيبة لكل المعنيين بالعرض...."

وبعد عشرة أيام، في عشية عيد الميلاد، سنحت الفرصة لإبسن أن يكتب ثانية إلى شرويدر: « نَشَرَتْ «مورغنبلاديت» إعلاناً حول تمثيل مسرحية«عدو الشعب»، لذلك سأزعجك أيضاً ببعض الأسطر. أرى أن يؤدي غندرسِن دور رئيس البلدية. فمظهر هذا الممثل يدل بصعوبة على رجل لا يستطيع تحمل أكل الطعام الساخن في المساء، ومعدته متعبة وهضمه غير جيد، ويعيش على الشاي الخفيف. ولا يناسب الدور رجلاً يوصف بأنه أنيق، ومهذب، وشديد الحساسية. لكن نقاط الضعف هذه يمكن التعامل معها إلى حد ما باللباس المناسب ومساحيق التجميل. لذا على السيد غندرسن أن ينتبه جيداً إلى هاتين النقطتين. كما أن البنية الجسدية للسيد ريميرس لا تناسب مزاجاً كمزاج الدكتور ستوكمان، فالأشخاص ذوو المزاج الحاد لهم بنية أكثر ضآلة بشكل عام. والنصيحة التي وجهتها للسيد غندرسن تنطبق أيضاً على السيد ريميرس. فعليه أن يجعل نفسه أنحف وأصغر قدر المستطاع»".

وفي ٣١ كانون الأول عام ١٨٨٢، كتب إبسن من جديد: "أخشى أنني سأزعجك ثانية ببعض الأسطر. لقد استنتجت من رسالتك اللطيفة التي وصلتني البارحة أن المقصود هو جعل فتاتين تمثلان دور الولدين في مسرحيتي. أزعجني هذا بعض الشيء، فمضمونها يدل على أنه لم يتم إعطاء انتباه كاف للروح التي كُتبت بها المسرحية، والتي يُطلب أن تمثل بها على خشبة المسرح. وأن نسمح للنساء أن يأخذن أدوار الصبيان هو أمر قد يُغتفر أحيانا في الأوبريت، والمسرحيات الهزلية، أو ما يسمى بالمسرحيات الغرامية، ذلك لأن المطلب الأساسي في هذه المسرحيات هو الوهم التام، وكل واحد من الجمهور يعي تماماً خلال الأمسية أنه جالس في مسرح، ويشاهد عرضاً مسرحياً. لكن ليس هذا ما يجب أن تكون عليه الحال حين تمثل مسرحية «عدو الشعب». بل يجب أن يشعر المشاهد وكأنه شخص موجود لكن غير مرئي في غرفة معيشة الدكتور ستوكمان. فكل شيء هنا يجب أن يبدو حقيقياً، حتى الولدان. ومن ثمَّ لا يمكن أن تؤدي دوريهما ممثلتان ترتديان شعراً مستعاراً ومشدات، فمظهرهما الأنثوي لا يمكن إخفاؤه بلبس القميص والبنطال، ولن تستطيعا أبداً جعل أي مشاهد يصدق أنه ينظر إلى تلميذي مدرسة حقيقيين من إحدى المدن الصغيرة. كيف يمكن في أية حال لامرأة ناضجة أن تجعل نفسها تبدو كولد عمره عشر سنوات؟ إذاً، لا بد أن يقوم ولدان بتمثيل هذين الدورين، أو في أسوء الأحوال فتاتان صغيرتان لم تظهر عليهما علامات الأنوثة كاملة

بعد، وبعدها اللعنة على المِشّدات، واجعلهما تنتعلان أحذية صبيان كبار. كما يجب تعليمهن الطريقة التي يتصرف بها الصبيان.

«ذكر في المسرحية أن الدكتور ستوكمان في أثناء الاجتماع العام يرتدي بدلة سوداء، لكنه ملابسه يجب ألاّ تكون جديدة ولا أنيقة، وربطة عنقه البيضاء يجب أن تكون ملتوية قليلا.»

من بين كل الأدوار التي أدّاها كونستانتين ستانسلافسكي أياً كان الكاتب الذي كتبها، كان دور الدكتور ستوكمان المفضل لديه. وقد كتب في «حياتي والفن» مايلي: «شعرت وأنا على خشبة المسرح أنني أتمتع بحريتي حين أديت دور ستوكمان، أكثر من أي دور آخر من الأدوار التي أديتها... فبالنسبة إلي لم يكن ستوكمان رجل سياسة، ولا خطيباً في الاجتماعات، ولا مفكراً، بل رجلاً ذا مُثل عليا، صديقاً مخلصاً لبلده ولشعبه. لقد كان أفضل وأنقى مواطن في وطنه الأم.» ويتابع ستانسلافسكي حديثه عن: «صورته الداخلية بكل ميزاتها وتفاصيلها؛ والعيون قصيرة النظر التي تتحدث ببلاغة عن عماه الداخلي لنقائص البشر، وطريقة حركته الفتية والطفولية، وعلاقته الحميمية بأطفاله وعائلته، والسعادة، وحب المزاح واللعب، وحسه الاجتماعي وجاذبيته التي أجبرت كل من احتكوا به أن يصبحوا أفضل وأنقى وأن يُظهروا أفضل خصالهم في حضوره... كان علي فقط أن أفكر بما يفكر به وما يهتم له ستوكمان، وعلامات

قصر النظر ستظهر وحدها مع انحناء الجسد إلى الأمام، الخطا السريعة، العينان اللتان تنظران بثقة إلى أعماق روح الإنسان أو إلى ذلك الشيء على المسرح معي، السبابة والأصابع الوسطى في اليد تمتد وحدها للدلالة على قدر أكبر من الإقناع، وكأنها تدفع بأفكاري الخاصة ومشاعري وكلماتي باتجاه روح مستمعي».[١]

قلَّتْ نسبة عرض مسرحية «عدو الشعب» اليوم، أكثر من أي من مسرحيات إبسن الناضجة، وذلك لسببين أساسيين. أحدهما هو حجم الكادر التمثيلي ببساطة. فهذا الحشد يكلف مالاً، ومن دون الحشد يفقد الفصل الرابع الكبير الكثير من تأثيره (وقد كان لعرض مسرحية شكسبير «يوليوس قيصر» المشكلة نفسها). والصعوبة الأخرى هي صعوبة إيديولوجية. فبعض الآراء التي عبر عنها الدكتور ستوكمان، وخاصة مطالبته «بالأرستقراطية»، واحتقاره للجماهير، وتأكيده أن «الأقلية دائماً على صواب»، لها نغمة غير تحررية في الآذان العصرية. وفي هاتين النقطتين كان إبسن في الواقع يعبر عن رأي يشترك فيه الجميع: مِيل وتوكويــڤيل وديكنز ومعظم المفكرين المتحررين في ذلك

---

(1) . بنى ستانسلاڤسكي مظهره الجسماني في الدور على أساس ريمسكي – كورساكوڤ، واستعار عدة إيماءات وصفات من غوركي. وقد لاحظ الممثل ل. م. ليونيدوڤ أن «عزلة ستوكمان كانت من طبيعة عزلة ستانسلاڤسكي نفسها ».

العصر ممن لم يثقوا باستبداد الأغلبية الشعبية. «أولئك الذين يعطون آراءهم باسم الرأي العام... هم دائماً الجماهير، أي جماعة من متوسطي المقدرة»، هذا ما كتبه ميل في مقاله العظيم «في الحرية». «ليس هناك من حكومة منتخبة ديمقراطياً أو تتألف من غالبية أرستقراطية، سواء في أعمالها السياسية أو في آرائها، أو صفاتها، أو إيقاع تفكيرها الذي تروج له، استطاعت أو تسنى لها أن تنهض فوق مستوى الوسط، إلا بقدر ما تسمح الأكثرية الحاكمة لنفسها أن تنقاد (وهذا ما يفعلونه في أحسن حالاتهم دائماً) بالتشاور أو بتأثير شخص أو أشخاص أكثر موهبة وتعليماً. إن المبادرة في كل ما هو حكيم ونبيل يأتي أو لا بد أن يأتي من أفراد؛ وبشكل عام في البداية يأتي من شخص واحد». هذه هي رسالة الدكتور ستوكمان باختصار. لكنها وجهة نظر قديمة إذا وضعت في عصر يسود فيه حق الاقتراع العالمي.

وقد عانت المسرحية أيضاً ما هو أسوأ من النقد الأكاديمي القديم. ويتلخص ذلك في التعليق الذي يصرف النظر عن مسرحية «الإمبراطور وغاليلي» على أنها «باردة مثل الحجر»، ومسرحية «براند» على أنها «غامضة»، ومسرحية «آيولف الصغير» على أنها «هابطة» (للاستشهاد بها من كتاب جديد ومحير قصد به الدفاع عن إبسن)، وقصد الاعتراض أيضاً على مسرحية «عدو الشعب» بوصفها «ضعيفة». إنها تفتقد في الواقع

للكثافة وللمعاني الإضافية الموجودة في أعمال إبسن الأخيرة. ولكن هناك مسرحيات أخرى ثمينة بعيداً عن المسرحيات اليونانية وشكسبير وتشيخوف التي لا حاجة معها إلى الخوف من المقارنة. ولا يمكن صرف النظر عنها سطحياً بوصفها ألعاباً فكرية. حتى لو أُديَت على المسرح بصورة مناسبة، فهي واحدة من أكثر المسرحيات المنفتحة والتي لا تُقاوم لإبسن، والدكتور ستوكمان واحد من عدد قليل من الأدوار العظيمة للرجال التي كتبها إبسن. إن الحقائق التي عبرت عنها لم تصبح قديمة بعد، ومن المحتمل أن تظل قائمة طالما أن هنالك مجالس مدن ورجال سياسة. طالما أنه سيكون هناك دائماً في مكان ما من العالم ساحة كازانسكي.

مايكل ميير

تم تمثيل هذه الترجمة لمسرحية «عدو الشعب» على خشبة المسرح أول مرة في ٣ نيسان عام ١٩٦٢، على مسرح بلي هاوس في نوتينغهام، بالفرقة التالية:

الدكتور توماس ستوكمان:	مدير صحة في مشروع الحمامات.	جون ستراتون
السيدة ستوكمان:	زوجته.	دوروثي برايمروز
بِترا:	ابنتهما، معلمة.	آني ستاليبراس
إيليف:	عمره ١٣ سنة — ابناهما	تيري سميث
مورتن:	عمره ١٠ سنوات — ابناهما	بول نيوغنت
بيتر ستوكمان:	الأخ الأكبر للدكتور ستوكمان، رئيس البلدية والمدير المسؤول عن الأمن، ورئيس لجنة مشروع الحمامات، الخ	ألان ماكنوتان
مورتن كيل:	صاحب مدبغة، والد السيدة ستوكمان بالتبني	ستافورد بيرن
هوفستاد:	محرر جريدة «منبر الشعب»	رولاند كيورام
بيلينغ:	موظف في الجريدة	روجر جيروم
هورستر:	قبطان بحري.	رونالد ماجيل
أسلاكسن:	عامل مطبعة.	بارتليت مولينز

حشد من الناس في الاجتماع العام – رجال من كل الطبقات، بعض النساء ومجموعة من طلاب المدارس: ثانيسا فورسيث، بولين ماسون، إيثل فاروجيا، مايكل كوليفاكس، بول سيلبير، جون توردوف، روي غرينوود، كريستوفر أكورست، روجر دياسون، إدموند توماس، هيربيرت سيمبسون.

المخرج: ألان ديـــڤيز.

تجري الأحداث في بلدة ساحلية جنوب النرويج.


الهيئة العامة
السورية للكتاب

الفصل الأول

مساء، في غرفة جلوس الدكتور ستوكمان. وهي غرفة مرتبة وذات فرش متواضع، لكنه أنيق. يوجد بابان على الجدار الأيمن. الباب البعيد يؤدي إلى الردهة، والقريب يؤدي إلى مكتب الدكتور. وفي الجدار المقابل، بمواجهة باب الردهة، هناك باب يؤدي إلى الغرف الأخرى التي تشغلها العائلة. وفي منتصف هذا الجدار توجد مدفأة مكسوة بالقرميد. وفي وسط المسرح هناك أريكة كبيرة، تعلوها مرآة. توجد أمام الأريكة طاولة بيضاوية الشكل عليها غطاء. وعلى الطاولة مصباح مضيء تعلوه مظلة لتخفيف النور. في نهاية المسرح باب مفتوح على غرفة الطعام، حيث يُمكن رؤية طاولة معدّة للعشاء، وعليها مصباح.

يجلس بيلينغ إلى هذه المائدة، واضعاً منديل المائدة تحت ذقنه. وتقف السيدة ستوكمان بجوار المائدة تقدم له طبقاً فيه قطعة كبيرة من اللحم. بقية المقاعد حول المائدة فارغة، ويظهر عدم الترتيب عليها دلالة على أن وجبة العشاء قد انتهت.

السيدة ستوكمان: تفضل، يا سيد بيلينغ! لو أنك تأخرت ساعة أخرى، لوجب عليك أن تأكله بارداً.

بيلينغ (وهو يأكل): يا سلام، لكن هذا الطعام طيّب. طيّب جداً!

السيدة ستوكمان: حسناً، أنت تعلم كم يحب زوجي الدقة دائماً في مواعيد الطعام –

بيلينغ: هذا لا يزعجني. فأنا أستمتع بتناول الطعام وحدي، دون التحدث إلى أحد.

السيدة ستوكمان: حسناً، طالما أنك تستمتع بوجبتك، فذاك– (تصغي سمعها باتجاه الردهة.) آه، لا بد أنه السيد هوفستاد.

بيلينغ: على الأرجح.

يدخل رئيس البلدية بيتر ستوكمان مرتدياً معطفه وقبعته الرسمية، ويحمل عصا.

رئيس البلدية: مساء الخير يا زوجة أخي العزيزة.

السيدة ستوكمان (تدخل غرفة الجلوس): آه، مساء النور! إنني سعيدة برؤيتك هنا! جميل منك أن تأتي لزيارتنا.

رئيس البلدية: كنت مارا بالجوار، لذا–(ينظر باتجاه غرفة الطعام.) لكن يبدو أنَّ لديكم ضيوفاً.

السيدة ستوكمان (ترتبك قليلاً): آه، لا أبداً، ليس لدينا ضيوف. (بسرعة) ألا تريد أن تأكل شيئاً أيضاً؟

رئيس البلدية: أنا؟ لا، شكراً! يا إلهي، تريدينني أن أتناول طعاماً مطهواً على العشاء! لن تتحمله معدتي.

السيدة ستوكمان: لكن لو مرة واحدة فقط –

رئيس البلدية: كلا، كلا! هذا لطف منك، لكنني معتاد على الشاي والشطائر، وسأبقى عليهما. فهي صحية أكثر على المدى البعيد، وأقل كلفة نوعاً ما.

السيدة ستوكمان (تبتسم): أنت تتحدث وكأننا أنا وتوماس مبذِّران.

رئيس البلدية: ليس كذلك يا زوجة أخي العزيزة. لم يخطر ذلك ببالي. (يشير إلى مكتب الدكتور.) أليس في المنزل؟

السيدة ستوكمان: لا، لقد ذهب ليتمشى قليلاً مع الأولاد.

رئيس البلدية: أتساءل فيما إذا كان من الحكمة المشي مباشرة بعد الطعام؟ (ينصت.) آه، لا بد أنه هو.

السيدة ستوكمان: لا، لا أعتقد أنه وصل بعد. (طرق على الباب.) ادخل!

يدخل هوفستاد، محرر الجريدة المحلية، من الردهة.

السيدة ستوكمان: آه – السيد هوڤستاد –؟

هوڤستاد: نعم. اعذريني أرجوك، لقد تأخرت في المطبعة. مساء الخير يا سيدي.

رئيس البلدية (يحيه بجفاء تقريباً): مساء الخير. أعتقد أنك هنا لشأن ما؟

هوفستاد: إلى حد ما. من أجل مقالة لجريدتي –

رئيس البلدية: هذا ما اعتقدته. سمعت أن أخي يسهم بانتظام في جريدة «منبر الشعب».

هوفستاد: نعم، فهو عادة ما يراسلنا إذا شعر أنه لا بد من قول الحقيقة في أمر ما.

السيدة ستوكمان (إلى هوفستاد، مشيرة إلى غرفة الطعام)**:** لكن– ألا تريد أن–؟

رئيس البلدية: يا إلهي، لا تظني أنني ألومه على الكتابة لذاك النوع من القرّاء الذين يتوقع أن يؤيدوا أفكاره. إضافة إلى أنه ليس هناك سبب يجعلني أحمل أي ضغينة تجاه جريدتك، يا سيد هوفستاد –

هوفستاد: ليس لدي شك في ذلك.

رئيس البلدية: إجمالاً، أعتقد أنه يمكنني القول إن روحاً رائعة من التسامح تسود بلدتنا. روحاً جماعية جميلة! وسبب ذلك وجود هذه المصلحة المشتركة العظيمة التي تربطنا– مصلحة تهم جميع المواطنين من أصحاب العقول السليمة –

هوفستاد: تقصد الحمامات؟

رئيس البلدية: تماماً! حماماتنا الجديدة الرائعة. سجل كلامي يا سيد! سَيثبّت أن هذه الحمامات هي لب حياتنا وجوهرها! ما من شك في هذا.

السيدة ستوكمان: نعم، هذا بالضبط ما يقوله توماس.

رئيس البلدية: مذهلة حقاً الخطوات التي أنجزها هذا المكان خلال السنتين أو الثلاث الماضية. البلدة تزدهر. والناس يستيقظون ويبدؤون السعي من أجل حياتهم. أجرة الأبنية والأراضي تزداد يوماً بعد يوم.

هوفستاد: ونسبة البطالة تقل.

رئيس البلدية: نعم، وهذا ما يحدث أيضاً. كما أن العبء الملقى على كاهل الطبقة الثرية لمساعدة الطبقة الفقيرة قد تضاءل بشكل يبعث على السرور – وسيتضاءل أكثر فيما لو توافر لدينا موسم صيفي جيد هذه السنة، مع العديد من الزوار. ما نرغب فيه أكثر هو مجيء المرضى المصابين. فهؤلاء سيمنحون حماماتنا سمعة طيبة.

هوفستاد: وأنا أسمع كلاماً واعداً يدل على ذلك.

رئيس البلدية: إن الأمور كذلك فعلاً. فالطلب على المنازل يزداد كل يوم.

هوفستاد: حسناً إذاً، ستأتي مقالة الدكتور في وقتها.

رئيس البلدية: أوه، هل كتب شيئاً جديداً؟

هوفستاد: لا، إنه شيء كتبه الشتاء الماضي؛ مديح للحمامات وللتسهيلات الصحية الممتازة في البلدة. لكنني قررت تأجيلها.

رئيس البلدية: آه، هل كان هناك عقبة ما؟

هوفستاد: لا، ليس الأمر كذلك. لكنني ظننت أنه من الأفضل أن أنتظر حتى الربيع. فالناس حالياً تفكر بشأن المكان الذي سيقضون فيه عطلتهم الصيفية –

رئيس البلدية: أصبت تماماً! أصبت تماماً، يا سيد هوفستاد.

السيدة ستوكمان: توماس لا يتوقف عن التفكير بتلك الحمامات.

رئيس البلدية: كيف لا، وهو موظف هناك.

هوفستاد: نعم، كما أنه هو الذي أنشأها، أليس كذلك؟

رئيس البلدية: هل كان هو؟ حقاً؟ نعم، لقد سمعت أن بعض الناس يظنون ذلك. ولا بد من أن أوضح أنني كنت أعمل تحت ذلك الوهم وأنه كان لي نصيب متواضع في تأسيس ذلك المشروع.

السيدة ستوكمان: وهذا ما يقوله توماس للناس دوماً.

هوفستاد: لا أحد ينكر ذلك، يا سيدي. فقد أشرفت على سير العمل، واطلعت على كل التفاصيل العملية، جميعنا يعرف ذلك. لكن ما قصدته فقط هو أن الدكتور هو من بدأ الفكرة.

رئيس البلدية: نعم، لطالما كان عند أخي الكثير من الأفكار – لسوء الحظ. لكن عندما يحين موعد تنفيذ الأشياء، فإننا نحتاج لنوع آخر من الرجال، يا سيد هوفستاد. وأعتقد أنه فيما يخص هذا المنزل على الأقل –

السيدة ستوكمان: لكن يا سلفي العزيز–!

هوفستاد: أنت بالتأكيد يا سيدي لا -؟

السيدة ستوكمان: أرجوك يا سيد هوفستاد ادخل وتناول شيئاً. سيصل زوجي في أية لحظة.

هوفستاد: شكراً لك - سأتناول شيئاً ما ربما. (يدخل غرفة الطعام.)

رئيس البلدية (يخفض صوته قليلاً): إن هؤلاء القرويين أمرهم غريب حقاً، فهم لا يتعلمون أبداً معنى اللباقة.

السيدة ستوكمان: لكن هل يزعجك هذا حقاً؟ ألا يكفيكما أنت وتوماس أن تتقاسما شرف كونكما أخوين؟

رئيس البلدية: نعم، هذا هو المفروض. لكن يبدو أن القسمة لا ترضي بعضهم.

السيدة ستوكمان: أوه، هذا هراء! أنت وتوماس دائماً على وفاق تام. آه، يبدو أنه وصل.

تذهب وتفتح الباب المؤدي إلى الردهة

الدكتور ستوكمان (ضاحكاً ومفعماً بالحيوية): مرحباً، كاثرين! لدي ضيف آخر لك هنا! أليست الأمور أبهج الآن؟ تفضل يا كابتن هورستر. علق معطفك هناك على المشجب. لا، عفواً، أنت لا ترتدي معطفاً، أليس كذلك؟ تخيلي يا كاثرين أنني صادفته في الطريق! وواجهت صعوبة في إقناعه بالمجيء معي.

يدخل الكابتن هورستر ويصافح السيدة ستوكمان

الدكتور ستوكمان (عند مدخل الباب): ادخلوا حالاً يا أولاد. (للسيدة ستوكمان) إنهم جائعون من جديد. تفضل من هنا كابتن هورستر، ستتناول أطيب لحم مشوي تناولته في حياتك.

يقتاد هورستر إلى غرفة الطعام. ويدخل إليها أيضاً إيليف ومورتن

السيدة ستوكمان: توماس! ألا ترى من –؟

الدكتور ستوكمان (يستدير عند مدخل الباب): أوه، مرحباً بيتر! (يتوجه إليه ويصافحه) سعيد برؤيتك!

رئيس البلدية: أخشى أنني لن أبقى سوى بضعة دقائق أخرى –

الدكتور ستوكمان: هراء. سنتناول شيئاً من التُّوديّ(*) حالاً. أنت لم تنسي الشراب المُحلّى الساخن يا كاثرين، أليس كذلك؟

السيدة ستوكمان: طبعاً لا. لقد وضعت الغلاية على النار– (تدخل غرفة الطعام)

رئيس البلدية: شراب كحولي ساخن أيضاً–؟

الدكتور ستوكمان: نعم. والآن اجلس، وسنقضي وقتاً طيباً معاً.

رئيس البلدية: أشكرك. لكنني لا أشترك في حفلات شرب أبداً.

الدكتور ستوكمان: لكن هذه ليست حفلة.

(*) Toddy – التُّوديّ: شراب مُسكِر مُحلّى.

رئيس البلدية: حسناً، ولكن–! (ينظر باتجاه غرفة الطعام.) أستغرب حقاً الكميات التي يأكلونها!

الدكتور ستوكمان (يفرك يديه): نعم، ليس هناك أجمل من رؤية الشباب يأكلون، أليس كذلك؟ دائماً جائعون! هكذا يجب أن يكونوا! عليهم أن يأكلوا! فالأكل يمنحهم القوة، فهم الذين سيصنعون المستقبل يا بيتر.

رئيس البلدية: هل يمكنني أن أسأل عن الشيء الذي يحتاج إلى «صناعة»، كما أسميته؟

الدكتور ستوكمان: توجه بسؤالك عن ذلك إلى النشء الجديد – حين يحين الوقت. فنحن طبعاً لن نراه. فمن الواضح أن الأمر لن يتحقق بأشخاص متزمتين من أمثالي وأمثالك –.

رئيس البلدية: حقاً! هذه أغرب طريقة تصفنا فيها –

الدكتور ستوكمان: لا تأخذ كلامي كثيراً على محمل الجد، يا بيتر. فأنا، كما ترى، أشعر ببهجة وسعادة الآن. من الرائع أن نعيش في زمن كهذا، حيث كل شيء يتولد وينفجر من حولنا. أوه، إنه لعصر مجيد هذا الذي نعيشه. أشعر وكأن عالماً جديداً يخرج إلى الحياة أمام أعيننا!

رئيس البلدية: هل تشعر بذلك حقاً؟

الدكتور ستوكمان: أجل. طبعاً أنت لا يمكنك أن ترى ذلك بوضوح كما أراه. فقد قضيت حياتك في هذه البيئة الاجتماعية، لذا لم تترك فيك الانطباع نفسه الذي تركته فيَّ.

أما أنا فقد توجب علي أن أقضي تلك السنين كلها جالساً هناك في ذلك الركود الشمالي اللعين، حيث نادراً ما كنت أرى وجهاً جديداً لديه كلمة مشجعة يقولها لي. لذا يبدو الأمر بالنسبة إليّ وكأنني انتقلت إلى قلب عاصمة تنبض بالحياة –

رئيس البلدية: عاصمة إذاً–؟

الدكتور ستوكمان: أعلم أنها قد تبدو صغيرة مقارنة مع كثير من المدن الأخرى. لكن فيها حياة، تبشّر بالنجاح، والكثير من الأشياء لتنجزها ولتقاتل من أجلها! وهذا هو المهم. (ينادي) كاثرين، ألم يأت البريد بعد؟

السيدة ستوكمان (من غرفة الطعام): لا، ليس بعد.

الدكتور ستوكمان: وكي يؤمن المرء عيشة كريمة، يا بيتر. هذا شيء يتعلّم المرء كيف يقدره بعد أن يقضي مدّة من عمره جائعاً، كما كنا–

رئيس البلدية: أوه، طبعاً–!

الدكتور ستوكمان: نعم، أستطيع أن أخبرك أننا قاسينا الكثير هناك. أما الآن، فيمكننا العيش كنبلاء! اليوم، مثلاً، لدينا لحم مشوي على الغداء! وقد بقي منه ما يكفي للعشاء! ألا تأكل بعضاً منه؟ دعني أريك إياه على أي حال. تعال، ألق نظرة –

رئيس البلدية: لا، أنا حقيقة –

الدكتور ستوكمان: حسناً، انظر إلى هذا! أترى؟ لدينا غطاء طاولة!

رئيس البلدية: أجل، لاحظت ذلك.

الدكتور ستوكمان: ولدينا مصباح عليه غطاء مظلة أيضاً، أترى؟ هذا كله مما ادخرته كاثرين! إنه يجعل الغرفة مريحة جداً، ألا تعتقد ذلك معي؟ تعال وقف هنا- لا، لا، ليس هناك! هكذا، والآن! انظر! أترى كيف يتجمع النور في الأسفل؟ حقاً أعتقد أن المصباح يبدو أنيقاً جداً، ألا تعتقد ذلك؟

رئيس البلدية: حسناً، لو تسنى للمرء أن يعيش في هذه الرفاهية كلها -

الدكتور ستوكمان: أوه، أعتقد أنني أستطيع تحمل مصاريف ذلك الآن. تقول كاثرين إنني أكسب تقريباً قدر ما ننفق.

رئيس البلدية: تقريباً!

الدكتور ستوكمان: نعم، على رجل العلم أن يعيش في سعة بعض الشيء. وأنا متأكد أن أي قاضٍ ينفق في السنة أكثر مما أنفقه بكثير.

رئيس البلدية: نعم، أرى ذلك. لكن في النهاية، القاضي موظف بمركز عام ومهم -

الدكتور ستوكمان: وكذلك تاجر الجملة. رجل كهذا ينفق أكثر بكثير -

رئيس البلدية: ظروفه مختلفة.

الدكتور ستوكمان: هذا لا يعني أنني مبذر، يا بيتر. لكنني لا أستطيع أن أحرم نفسي متعة وجود الناس من حولي. فأنا بحاجة إلى ذلك، كما تعلم. فقد عشت خارج العالم مدة طويلة جداً، ومن الضرورات بالنسبة إلي أن أعيش مع أناس يتمتعون بالشباب، والجرأة، والمرح، ويملكون عقولاً حرة ونشيطة - وهذا ما هم عليه فعلاً، فكل الرجال الجالسين في الداخل يستمتعون بوجبة لذيذة! أتمنى منك أن تتعرف هوفستاد أكثر -

رئيس البلدية: لقد ذكرتني، أخبرني هوفستاد أنه سيطبع مقالة أخرى من مقالاتك.

الدكتور ستوكمان: مقالة لي؟

رئيس البلدية: نعم، عن الحمامات. شيء كتبته الشتاء الماضي.

الدكتور ستوكمان: آه، ذلك المقال. لا، لا أريدهم أن يطبعوه الآن.

رئيس البلدية: لا؟ لكنني ظننت أن الآن هو الوقت الأنسب.

الدكتور ستوكمان: سيكون مناسباً في الأحوال الطبيعية. (يتمشى في الغرفة) -

رئيس البلدية (يتبعه بعينيه): وما الغريب في الظروف الآن؟

الدكتور ستوكمان (يتوقف)**:** آسف يا بيتر. لا أستطيع إخبارك بذلك بعد. ليس هذا المساء على كل حال. قد يكون هناك الكثير من الأمور غير الطبيعية، وقد لا يكون هناك شيء البتة. وربما كان ذلك من بنات خيالي –

رئيس البلدية: أنت تجعل الأمور تبدو غامضة. هل هناك شيء ما؟ شيء لا يجدر بي أن أعرفه؟ لكنني فكرت أنني، بوصفي رئيس لجنة الحمامات –

الدكتور ستوكمان: وأعتقد أنني باعتباري– حسناً، دعنا لا نفقد صوابنا.

رئيس البلدية: لا سمح الله. ليس من عادتي أن أفقد صوابي، كما تقول. لكنني أصر على أن تمر كل الترتيبات عبر الأقنية الرسمية [وأن تطلع عليها السلطات المختصة][1]. لن أسمح بأي طرق ملتوية أو سرية.

الدكتور ستوكمان: هل استخدمت في حياتي طرقاً ملتوية أو سرية؟

رئيس البلدية: أنت دائماً تصر على اتباع طرقك الخاصة. وهذا أيضاً أمر مرفوض تقريباً في مجتمع يقوم على النظام. فعلى

---

(1) الأقواس المربعة في النص دليل على إمكانية إسقاط الجملة في أثناء العرض.

الفرد الانصياع للإرادة العامة، أو بالأحرى لإرادة السلطات التي من واجبها تولي أمور المصلحة العامة.

الدكتور ستوكمان: هذا ممكن. بحق الجحيم ما علاقتي بهذا الموضوع؟

رئيس البلدية: هذا ما أقصده، يا عزيزي توماس، وهو الشيء الذي لا تريد تعلمه أبداً. لكن انتبه. ستدفع ثمن ذلك يوماً ما. حسناً، لقد حذرتك. وداعاً.

الدكتور ستوكمان: هل جننت؟ أنت تسعى إذاً وراء الشخص الخطأ –.

رئيس البلدية: ليس ذلك من عادتي. حسناً، اسمحوا لي – (ينحني تجاه غرفة الطعام.) وداعاً يا زوجة أخي. طاب يومكم يا سادة. (يذهب.)

السيدة ستوكمان (تعود إلى غرفة الطعام.): هل غادر؟

الدكتور ستوكمان: نعم يا كاثرين، وفي مزاج سيء للغاية.

السيدة ستوكمان: أوه، توماس، ماذا فعلت له هذه المرة؟

الدكتور ستوكمان: لا شيء البتة. ينبغي منه ألا يتوقع مني أن أقدم له تقريراً، عن كل أمر قبل الوقت المناسب.

السيدة ستوكمان: تعطيه تقريراً؟ عن ماذا؟

الدكتور ستوكمان: لا تأبهي لذلك، يا كاثرين. تباً، لِمَ لَمْ يصل البريد بعد؟

ينهض هوفستاد، وبيليننغ، وهورستر من على المائدة، ويدخلون غرفة الجلوس. يتبعهم إيليف ومورتن بعد لحظات قليلة.

بيلينغ (يتمطى): آه، وجبة كتلك تشعر المرء بأنه شخص جديد. أقسم على ذلك!

هوڤستاد: سيادته لم يكن في مزاج جيد الليلة.

الدكتور ستوكمان: نعم، هذا بسبب معدته. قابليته ضعيفة ولديه عسر هضم.

هوڤستاد: أعتقد أننا نحن الصحفيين المتطرفين شوكة في حلقه.

السيدة ستوكمان: ظننت أنك على وفاق معه.

هوڤستاد: إنها مجرد هدنة.

بيلينغ: كما تقول تماماً! هذه الكلمة تلخص الموقف بيننا بحروف صغيرة.

الدكتور ستوكمان: بيتر مسكين، إنه رجل وحيد. يجب ألا ننسى ذلك. ليس لديه منزل يرتاح فيه، حياته كلها أعمال متواصلة، وكل ذلك الشاي اللعين الذي يملأ به معدته! حسناً يا أولاد، خذوا أماكنكم! كاثرين، أين الشراب المُحلى الساخن؟

السيدة ستوكمان (تدخل غرفة الطعام.): سأحضره حالاً.

الدكتور ستوكمان: كابتن هورستر، تعال واجلس هنا على الأريكة بجانبي،. فأنت قلما تزورنا. تفضلوا، اجلسوا يا سادة!

يجلس الضيوف حول الطاولة. تحضر السيدة ستوكمان صينية عليها غلاية، وآنية شراب، وكؤوس، الخ

السيدة ستوكمان: تفضلوا. هذا عرق، وهذا روم، وهاكم الكونياك. والآن تفضلوا.

الدكتور ستوكمان (يأخذ كأساً): ألا تقلقين لهذا! (كون شراب التودي مخلوطاً.) لكن أين السيجار؟ أنت تعرف أين الصندوق يا إيليف. أما أنت يا مورتن فأحضر لي الغليون. (يدخل الولدان الغرفة التي على اليمين.) لدي شعور بأن إيليف يسرق سيجاراً من آن لآخر، لكنني أتظاهر أنني لا أعرف، (ينادي) وإلي بالمشرب يا مورتن. كاثرين، هلا أخبرته أين أضعها؟ آه، لا بأس، لقد وجدها. (يعود الولدان بالأشياء التي طلبها والدهما.) هلموا إلى كؤوسكم يا أصدقاء. فأنا سأقتصر على التدخين. أتعلمون، لقد كان يرافقني هذا الصديق القديم في أيام عصيبة مررت بها هناك في الشمال. (يتقارعون الكؤوس.) في صحتكم. لا بد لي من القول إن الجلوس في هذا الركن أكثر راحة ودفئاً.

السيدة ستوكمان (جالسة تحيك الصوف): هل ستبحر قريباً، يا كابتن هورستر؟

هورستر: أظن أنني سأنطلق الأسبوع القادم.

السيدة ستوكمان: هذه المرة ستذهب إلى أمريكا، أليس كذلك؟

هورستر: نعم، هكذا النية.

بيلينغ: لكن في هذه الحال لن تكون قادراً على المشاركة في الانتخابات القادمة لمجلس البلدة!

[**هورستر**: هل ستكون هناك انتخابات جديدة؟

بيلينغ: ألم تسمع بذلك؟

هورستر: لا، فأشياء كهذه لا تهمني.

بيلينغ: لكن عليك أن تهتم بالشؤون العامة؟]

هورستر: لا، فأنا لا أفهم في مثل هذه الأمور.

بيلينغ: لا فرق، لكن على المرء أن يدلي بصوته على الأقل.

هورستر: حتى ولو كان لا يفهم حول ماذا يقترع؟

بيلينغ: يفهم؟ ما علاقة الفهم بالاقتراع؟ إن المجتمع مثل السفينة. على كل رجل من رجالها أن يساعد في إدارة الدفة.

هورستر: هذا لا يحدث في سفينتي!

[**هوفستاد**: غريبة هي الطريقة التي يتعامل بها البحارة الصغار مع ما يجري في بلدتهم.

بيلينغ: غريبة جداً.]

الدكتور ستوكمان: البحارة كالطيور العابرة، أينما يحلون يشعرون أنهم في موطنهم. لذا ينبغي أن يبدي الباقون منا نشاطاً أكبر تجاه الشؤون العامة، يا سيد هوفستاد. هل لديك شيء مفيد تقدمه لنا غداً في «منبر الشعب»؟

هوفستاد: ليس هناك شيء يتعلق بالأمور المحلية. لكنني فكرت في أن أطبع مقالتك بعد غد –

الدكتور ستوكمان: يا إلهي نعم، تلك المقالة! لا، انظر، عليك أن تتريث في أمرها الآن.

هوفستاد: ماذا؟ لكن لدينا متسع كبير في صحيفتنا الآن، وكنت أظن أنه الوقت الأنسب لنشرها –

الدكتور ستوكمان: أجل، أجل، أنت على حق، لكن مع ذلك عليك الانتظار. سأشرح لك فيما بعد –

تدخل بترا من الردهة، مرتدية قبعة ومعطفاً، وتحمل معها كومة من الدفاتر المدرسية.

بترا: مساء الخير.

الدكتور ستوكمان: مرحباً بترا، أهذا أنت؟

يحييها الباقون، وهي ترد التحية. تخلع معطفها، وقبعتها وتضعهما والكتب على كرسي بجانب الباب.

بترا: أنتم تجلسون جميعاً هنا وتحتفلون بينما أنا أعمل في الخارج!

الدكتور ستوكمان: حسناً، تعالي وشاركينا حفلتنا أيضاً.

بيلينغ: هل أمزج لك كأساً صغيرة؟

بترا (تأتي إلى الطاولة): شكراً، سأقوم بذلك بنفسي، فأنت دائماً تجعله ثقيلاً. صحيح، بالمناسبة، لك رسالة عندي يا أبي.

تذهب إلى الكرسي الذي وضعت عليه أشياءها.

الدكتور ستوكمان: رسالة؟ ممن؟

بترا (تبحث في جيب معطفها): أعطاني إياها ساعي البريد لدى خروجي من المنزل –

الدكتور ستوكمان (**ينهض ويتجه نحوها)**: لماذا لم تعطني إياها وقتئذٍ؟

بترا: في الواقع لم يكن لدي متسع من الوقت لأعود ثانية. ها هي ذي.

الدكتور ستوكمان (**يمسك الرسالة)**: دعيني أراها يا بنتي، دعيني أراها! (ينظر إلى الظرف.) أجل، هذه هي!

السيدة ستوكمان: هل هي الرسالة التي كنت متحرقاً لوصولها، توماس؟

الدكتور ستوكمان: هي بعينها. يجب أن أذهب وأقرأها حالاً. أين يمكنني أن أجد ضوءاً يا كاثرين؟ أليس هناك مصباح في غرفتي أيضاً؟

السيدة ستوكمان: أجل، هناك مصباح منير على مكتبك.

الدكتور ستوكمان: جيد، جيد. لحظة من فضلكم –

يدخل الغرفة التي إلى اليمين.

بترا: ما عساه كُتب فيها يا أمي؟

السيدة ستوكمان: لا أدري. ففي الأيام الأخيرة الماضية كان شغله الشاغل السؤال عن البريد.

بيلينغ: ربما كانت من أحد المرضى خارج البلدة–

بترا: مسكين أبي! سيدرك حالاً أنه يحمّل نفسه أكثر مما يستطيع. (تمزج لنفسها كأساً) يا سلام، مذاقه رائع!

هوفستاد: هل كان لديك حصص مسائية اليوم أيضاً؟

بترا (تأخذ رشفة): ساعتين.

بيلينغ: وأربع ساعات هذا الصباح في المدرسة الفنية –

بترا (تجلس إلى الطاولة): خمس ساعات.

السيدة ستوكمان: ولديك دفاتر تصححينها الليلة، كما أرى.

بترا: أجل، عدد كبير.

هورستر: يبدو لي أنك أنت أيضاً تشتغلين أكثر من طاقتك.

بترا: أجل، لكنني أحب ذلك. فهو يمنحني شعوراً رائعاً بالتعب.

بيلينغ: شعوراً رائعاً!

بترا: أجل. بعدها أنام نوماً عميقاً.

مورتن: من المؤكد أنك شريرة للغاية.

بترا: شريرة؟

مورتن: أجل، لأنك تعملين كثيراً. فقد قال الدكتور رورلند إن العمل هو عقاب لخطايانا.

إيليف (بازدراء): هذا سخف! أنت مولع بتصديق تفاهات كتلك!

السيدة ستوكمان: هيا، هيا إيليف!

بيلينغ (يضحك): ها! عظيم جداً!

هوڤستاد: ألا تريد أن تعمل كثيراً أنت أيضاً يا مورتن؟

مورتن: لا، لست أنا.

هوڤستاد: لكن من المؤكد أنك تريد أن تصبح شخصاً مهماً؟

مورتن: أريد أن أصبح قرصاناً ڤايكينغ!

إيليف: لكن عليك أن تكون وثنياً آنذاك.

مورتن: لا بأس، سأصبح وثنياً!

بيلينغ: وأنا معك في هذه الناحية يا مورتن. لأن هذه هي معتقداتي أيضاً.

السيدة ستوكمان (تومئ له): أنا متأكدة أنك لست كذلك، يا سيد بيلينغ.

بيلينغ: صدقيني إني كذلك! أنا غير متدين وأنا فخور بهذا! وسترين بعد مدّة وجيزة أن مجتمعنا بأكمله سيصبح غير متدين. فقط انتظري وسترين.

مورتن: وهل سيكون باستطاعتنا آنذاك أن نفعل ما نشاء؟

بيلينغ: أجل يا مورتن! سترى –

السيدة ستوكمان: كفى الآن يا أولاد. أنا واثقة أنَّ عندكم بعض واجبات مدرسية تكتبونها.

إيليف: أستطيع البقاء لبضعة دقائق أخرى –

السيدة ستوكمان: لا، لا يمكنك. اذهبا، كلاكما!

يتمنى الصغيران ليلة سعيدة، ويدخلان الغرفة التي إلى اليسار.

هوفستاد: هل تظنين حقاً أن سماع هذا النوع من الأحاديث يسيء إلى الصغيرين؟

السيدة ستوكمان: في الحقيقة، لا أعلم. لكنني لا أحب هذه الأحاديث.

بترا: أحقاً ما تقولين يا أمي! لكنني أرى أن هذا خطأ.

السيدة ستوكمان: ربما أكون مخطئة، لكنني لا أحب هذه الأحاديث. ليس هنا في منزلي.

بترا: هناك خوف كبير من قول الحقيقة، في كل مكان! في البيت وفي المدرسة. هنا علينا أن نلتزم الصمت، وفي المدرسة علينا أن نقف أمام الطلاب ونخبرهم الأكاذيب.

هورستر: تكذبين عليهم؟

بترا: أجل، فأنت تدرك بالتأكيد أن علينا تعليمهم كل الأشياء التي نحن أنفسنا لا نؤمن بصحتها.

بيلينغ: أخشى أن ما تقولينه هو عين الصواب.

بترا: لو أنني فقط أمتلك المال الكافي، لأنشأت مدرسة خاصة بي. وعندها ستختلف الأمور.

بيلينغ: آه! تريدين المال!

هورستر: لو كنت جادة فيما تقولين، يا آنسة ستوكمان، فيمكنني بكل سرور أن أعطيك غرفة في منزلي. فمنزل والدي القديم خال تقريباً؛ وفيه غرفة طعام كبيرة جداً في الطابق الأرضي –

بترا (تضحك): شكراً لك. لكنني لا أظن أننا سنحصل على نتيجة من هذا كله.

هوفستاد: لا، أظن أن الآنسة بترا ستتجه إلى الصحافة. بالمناسبة، هل تسنى لك الوقت لتلقي نظرة على تلك الرواية الإنكليزية التي وعدت بترجمتها لنا؟

بترا: ليس بعد. لكنني سأحرص على أن تستلمها في الوقت المناسب.

يدخل الدكتور ستوكمان قادماً من غرفته والرسالة مفتوحة في يده.

الدكتور ستوكمان (يلوح بالرسالة**)**: هنا الأخبار التي ستقيم الدنيا وتقعدها، أتصدقون!

بيلينغ: أخبار؟

السيدة ستوكمان: لماذا، ما الذي حدث؟

الدكتور ستوكمان: حدث اكتشاف عظيم، يا كاثرين!

هوفستاد: حقاً؟

السيدة ستوكمان: أنت اكتشفته؟

الدكتور ستوكمان: بالضبط! أنا! (يمشي جيئة وذهاباً) والآن فليأتوا وليقولوا كالعادة إنها هذر رجل مجنون، وإنها تهيؤات. لكن عليهم أن يحذروا هذه المرة! (يضحك) أجل، أظن أن عليهم أن يحذروا!

بترا: كرمى لله يا أبي، أخبرنا ما الأمر!

الدكتور ستوكمان: أجل، أجل، فقط امنحوني بعض الوقت، وستعرفون كل شيء. آه، لو أن بيتر كان هنا الآن! جيد، كل ما يجري يبرهن كيف نصدر نحن البشر أحكامنا بتهور –

هوفستاد: ماذا تقصد بكلامك هذا، دكتور؟

الدكتور ستوكمان (يقف إلى جانب الطاولة): أليس من المفترض عموماً أن بلدتنا منتجع صحي؟

هوفستاد: أجل، بالطبع.

الدكتور ستوكمان: وإنها منتجع صحي فريد تماماً! مكان يستحق التزكية بأحر التعابير الممكنة للمرضى ولإخوانهم الأوفر حظاً؟

السيدة ستوكمان: أجل، لكن يا عزيزي توماس –!

الدكتور ستوكمان: وحتى نحن مدحناها وزكيناها، ألم نفعل؟ لقد كتبت آلافاً من مقالات المديح في جريدة "منبر الشعب"، وفي كتيبات أخرى –

هوفستاد: حسناً، وماذا بعد؟

الدكتور ستوكمان: هذه الحمامات التي تعد شريان البلدة، وعصبها الأساسي – ويعلم الله ماذا أيضاً –

بيلينغ: «قلب مدينتنا الخافق» هذه هي التسمية التي جازفت مرة بإطلاقها على الحمامات في ساعة فرح –

الدكتور ستوكمان: لا شك أنها كذلك. لكن هل تعلمون ماذا تمثل حقاً حماماتنا الحبيبة هذه، التي تتلقى الإطراء، والتي كلفت الكثير من المال؟ هل تعلمون ما هي حقيقة؟

هوفستاد: لا، ماذا هي؟

الدكتور ستوكمان: لا شيء سوى مجارير لعينة.

بترا: الحمامات يا أبي؟

السيدة ستوكمان (في الوقت نفسه): حماماتنا!

هوفستاد (في الوقت نفسه أيضاً): لكن، يا دكتور –!

بيلينغ: هذا لا يصدق أبداً!

الدكتور ستوكمان: هذه الحمامات هي مقبرة بيضاء مؤذية. إنها خطرة على الصحة إلى أبعد حد. كل تلك القاذورات في مويلدال – تلك النفايات النتنة الصادرة عن المدابغ – لوثت الماء في الأنابيب التي تغذي غرفة الضخ. ليس هذا فحسب. بل تلك القاذورات اللعينة تتسرب إلى الشاطئ.

هورستر: إلى مكان حمامات البحر؟

الدكتور ستوكمان: تماماً.

هوفستاد: لكن لماذا أنت واثق من ذلك كله لهذه الدرجة يا دكتور؟

الدكتور ستوكمان: لقد درست الأمر بدقة تامة. ولطالما شككت بأن هناك شيئاً من هذا النوع. ففي السنة الماضية، كان هناك الكثير من الشكاوى الغريبة بين الزوار حول الحمامات – مشكلات معدية، وحمى تيفية –

السيدة ستوكمان: أجل، هذا صحيح.

الدكتور ستوكمان: في تلك الأثناء، ظننا أن أولئك الزوار هم من جلبوا العدوى معهم. لكن فيما بعد، خلال فصل الشتاء، طرأت لي أفكار مختلفة. لذا عملت على تحليل الماء بدقة قدر استطاعتي.

السيدة ستوكمان: إذا هذا ما كنت منشغلاً به الوقت كله.

الدكتور ستوكمان: نعم يا كاثرين، بإمكانك القول إنني عملت طويلاً. لكن بالطبع كانت تنقصني المعدات العلمية المناسبة. لذا أرسلت عينات من مياه الشرب ومياه البحر إلى الجامعة ليتم تحليلها من قبل مختصين كيميائيين.

هوفستاد: والآن حصلت على نتائج التحليل؟

الدكتور ستوكمان (يريهم الرسالة)**:** ها هي! إنها تنص بالدليل القاطع على أن الماء يحوي مادة عفن عضوي– الملايين من البكتيريا. وهي بالتأكيد مضرة بالصحة حتى للاستخدام الخارجي.

السيدة ستوكمان: إنها معجزة أنك اكتشفت هذا في الوقت المناسب.

الدكتور ستوكمان: أحسنت القول يا كاثرين.

هوفستاد: وماذا تنوي أن تفعل الآن يا دكتور؟

الدكتور ستوكمان: سأقوم بتسوية الأمور طبعاً.

هوفستاد: هل يمكن القيام بذلك؟

الدكتور ستوكمان: هذا لا بد منه! وإلا فستكون الحمامات غير قابلة للاستخدام، وسيذهب عملنا كله سدى. لكن لا تقلقوا. أنا متأكد تماماً مما يجب علينا فعله.

السيدة ستوكمان: لكن، يا عزيزي توماس، لِمَ كتمت هذا الأمر عنا؟

الدكتور ستوكمان: وهل تتوقعين مني أن أدور في البلدة، وأتحدث في هذا الموضوع قبل أن أتيقن منه؟ لا، شكراً، لست مجنوناً لتلك الدرجة.

بترا: كنت أخبرنا على الأقل –

الدكتور ستوكمان: لم أكن لأخبر أحداً. لكن غداً يمكنكم الذهاب إلى الغُرَيْر(*) و–

السيدة ستوكمان: حقاً يا توماس؟

(*) Badger – الغُرير: حيوان ثديي قصير القوائم يحتفر في الأرض أوجرة يسكن فيها.

الدكتور ستوكمان: عفواً، أقصد جدك. سيُدهش الرجل العجوز للغاية. فهو يظن أن هناك مساً في عقلي. أوه، وثمة كثيرون ممن يظنون الشيء نفسه. أعلم! لكن الآن سأري هؤلاء الطيبين! الآن سيرون! (يمشي جيئة وذهاباً وهو يفرك يديه). ستقوم الدنيا وتقعد في البلدة يا كاثرين! ليس لديك أدنى فكرة عما سيحدث! لا بد من إعادة تركيب شبكة المياه كلها.

هوفستاد (ينهض): شبكة المياه كلها؟

الدكتور ستوكمان: طبعاً. مأخذ المياه جميعاً تحت المستوى المطلوب، ويجب رفعها كثيراً إلى الأعلى.

بترا: إذاً، كنتَ مصيباً في النهاية!

الدكتور ستوكمان: نعم يا بترا، هل تذكرين؟ لقد كتبت محتجاً ضد المخطط الذي وضعوه حين كانوا سيبدؤون بالتنفيذ. لكن آنذاك لم يكن ليصغي إلي أحد. الآن سأخوض معهم معركة حقيقية. طبعاً لقد كتبت تقريراً مفصلاً للّجنة المسؤولة عن الحمامات، وهو جاهز من أسبوع، لأنني كنت أنتظر استلام هذه الرسالة. (يريهم الرسالة) لكن الآن علي إرساله لهم حالاً! (يدخل غرفته ويعود ومعه حزمة من الأوراق.) انظروا إلى هذه! عشر أوراق كبيرة – كُتبت بإحكام! وسأرسل التحليل معها. إلي بورق صحيفة يا كاثرين، إلي بأي شيء ألف به هذه الأوراق. جيد! إنها جاهزة الآن! أعطها لـــ – لـــ –!

(يضرب الأرض بقدمه.) يا إلهي ما اسمها؟ أجل، الخادمة! وقولي لها أن تسلمها مباشرة لرئيس البلدية.

تخرج السيدة ستوكمان عبر غرفة الطعام ومعها الرزمة.

بترا: أبي، ماذا سيقول العم بيتر برأيك؟

الدكتور ستوكمان: ماذا يمكن أن يقول؟ يجب أن يكون ممتناً لاكتشاف حقيقة مهمة كهذه.

هوفستاد: هل تسمح بأن تعطيني تصريحاً لطباعة مقال صغير عن اكتشافك في «منبر الشعب»؟

الدكتور ستوكمان: سأكون ممتناً لك إن فعلت.

هوفستاد: أعتقد أن من المستحسن إطلاع الناس على هذا الأمر بأسرع ما يمكن.

الدكتور ستوكمان: أجل، أجل، بالطبع.

السيدة ستوكمان (تعود)**:** إنها مع الخادمة الآن.

بيلينغ: ستكون المواطن الأول في البلدة يا دكتور، أقسم على ذلك.

الدكتور ستوكمان (يمشي برضى جيئةً وذهاباً)**:** هراء، أنا لم أقم بشيء سوى واجبي. كل ما هنالك أنني حفرت من أجل الكنز، وقد حالفني الحظ. مع ذلك لا يهم -!

بيلينغ: ألا ترى يا هوفستاد أن على البلدة أن تنظم موكب مشاعل تكريماً للدكتور ستوكمان؟

هوفستاد: سأقترح ذلك بكل تأكيد.

بيلينغ: وسيكون لي حديث مع أسلاكسن.

الدكتور ستوكمان: لا، يا أصدقائي الأعزاء، أرجوكم لا تشغلوا أنفسكم بهذه المظاهر السطحية. فأنا لا أريد إحداث جَلَبَة. وحتى لو قررت لجنة الحمامات زيادة راتبي فلن أقبل بذلك. هذا ليس جيداً يا كاثرين، لن أقبل بذلك!

السيدة ستوكمان: أنت على حق يا توماس.

بترا (ترفع كأسها)**:** في صحتك يا أبي!

هوفستاد وبيلينغ: في صحتك يا دكتور! في صحتك!

هورستر (يقرع كأسه بكأس الدكتور)**:** آمل ألا تلاقي من اكتشافك إلا السرور.

الدكتور ستوكمان: شكراً لكم يا أصدقائي الأعزاء، شكراً لكم. أنا في غاية السعادة. من الطيب أن تشعر بأنك تحظى باحترام أفراد مدينتك. تهانينا يا كاثرين.

يضع كلتا يديه حول رقبتها ويدوران في أنحاء الغرفة. تصرخ السيدة ستوكمان وتدفعه عنها. يضحك الجميع، ويصفقون استحساناً، ويهتفون للدكتور. يطل الصغيران برأسيهما من الباب مستغربين.

† † †

الفصل الثاني

المكان: غرفة جلوس الدكتور.

يغادر الدكتور غرفة الجلوس. باب غرفة الطعام مغلق.

الوقت: صباحاً

السيدة ستوكمان (تدخل من غرفة الطعام وفي يدها رسالة مختومة، وتتجه نحو الباب إلى اليمين من مقدمة المسرح وتطل برأسها): هل أنت في المنزل يا توماس؟

الدكتور ستوكمان (من وراء الكواليس): أجل، لقد أتيت تواً. (يدخل) ما الأمر؟

السيدة ستوكمان: لديك رسالة من أخيك. (تسلمه إياها)

الدكتور ستوكمان: ها هي، لنرَ ماذا يقول فيها. (يفتح الظرف ويقرأ): "أُعيد إليك في هذه الرسالة المخطوط الذي أرسلته لي-" (يتابع القراءة متمتماً) همم -!

السيدة ستوكمان: حسناً، ماذا يقول؟

الدكتور ستوكمان (يضع الورقة في جيبه): لا شيء، إنه فقط يعلمني أنه سيأتي لزيارتي اليوم ظهراً.

السيدة ستوكمان: إذا عليك أن تضع في بالك البقاء في المنزل.

الدكتور ستوكمان: حسناً، لا بأس في ذلك. لقد أنهيت جولتي اليوم.

السيدة ستوكمان: إنني متشوقة لمعرفة انطباعه عن الموضوع.

الدكتور ستوكمان: سترين. لن تروقه حقيقة أنني أنا من قام بهذا الاكتشاف، وليس هو.

السيدة ستوكمان: ألا يقلقك ذلك؟ إنني قلقة.

الدكتور ستوكمان: حسناً، من المؤكد أنه سيكون سعيداً قلبياً. لكن المشكلة أن بيتر يستشيط غضباً لمجرد فكرة أن أحداً غيره يقدم شيئاً لمصلحة البلدة.

السيدة ستوكمان: أتعلم يا توماس، أنا حقاً أظن أن عليك أن تشاطره هذا الشرف. ألا يمكنك أن تقول إنه هو الذي أوحى إليك بهذه الفكرة –؟

الدكتور ستوكمان: من طرفي، سأكون مسروراً لذلك. طالما أني سأعيد الأمور إلى نصابها، سوف –

مورتن كيل العجوز (يطل برأسه من الباب المؤدي إلى الردهة، ناظراً حوله بتساؤل، يضحك ضحكة خافتة ويسأل بمكر): هل – هل صحيح ما يقال!

السيدة ستوكمان: أهذا أنت يا أبي!

الدكتور ستوكمان: مرحباً بك يا عمي! صباح الخير، صباح الخير!

السيدة ستوكمان: ألن تدخل؟

مورتن كيل: سأدخل إن كانت الأخبار صحيحة. وإلا فسأمشي –

الدكتور ستوكمان: أية أخبار؟

مورتن كيل: ذلك الهراء حول شبكة المياه. أصحيح ما يقال؟

الدكتور ستوكمان: طبعاً صحيح. لكن كيف سمعت بالخبر؟

مورتن كيل (يدخل): مرت بترا عندي وهي في طريقها إلى المدرسة –

الدكتور ستوكمان: حقاً؟

مورتن كيل: أجل. وباحت لي بالخبر. ظننت في البداية أنها تمازحني. لكن هذا ليس من عادة بترا.

الدكتور ستوكمان: لماذا ظننت أنها تمازحك؟

مورتن كيل: لأنني لا أثق بأحد. هذا شعاري. فأنت قد تبدو كالأبله قبل أن تدري ما الذي يجري حولك. إذاً، الأخبار صحيحة؟

الدكتور ستوكمان: قطعاً صحيحة. والآن اجلس يا عمي. (يلاطفه للجلوس على الأريكة) أليس هذا الاكتشاف نعمة كبيرة للبلدة؟

مورتن كيل (يخنق ضحكة): نعمة للبلدة؟

الدكتور ستوكمان: أعني أنني اكتشفت ذلك في الوقت المناسب –

مورتن كيل (مثل السابق): آه، أجل، أجل، أجل! لكنني لم أتصور يوماً أنك ستلعب حيل القرود مع أخيك من لحمك ودمك!

الدكتور ستوكمان: حيل القرود؟

السيدة ستوكمان: أبي العزيز –؟

مورتن كيل (يضع يديه وذقنه على مقبض عصاه، ويغمز على الدكتور بمكر): ماذا اكتشفت الآن؟ ألم تقل إن بعض الحيوانات دخلت في أنابيب المياه؟

الدكتور ستوكمان: نعم، جراثيم.

مورتن كيل: وأخبرتني بترا أن هناك عدداً كبيراً منهم. جيش منظم!

الدكتور ستوكمان: ربما ملايين.

مورتن كيل: لكن لا يستطيع أحد رؤيتهم، أليس كذلك؟

الدكتور ستوكمان: بالطبع، لا يمكننا رؤيتهم.

مورتن كيل (يضحك ضحكة خافتة بينه وبين نفسه): علي اللعنة إن لم يكن هذا أفضل شيء سمعته منك حتى الآن!

الدكتور ستوكمان: ما قصدك؟

مورتن كيل: لكنك لن تستطيع إقناع رئيس البلدية بقصة كهذه.

الدكتور ستوكمان: سنرى.

مورتن كيل: هل تظن أنه غبي إلى هذه الدرجة؟

الدكتور ستوكمان: أتمنى أن يكون جميع من في البلدة أغبياء.

مورتن كيل: البلدة كلها؟ هذا ممكن تماماً. عليك بهم، فهذه الحادثة ستعلمهم درساً لن ينسوه! لقد طردوني من المجلس – أجل، أسميه طرداً، لأنهم أخرجوني مثل الكلب، أجل لقد فعلوها. لكنهم الآن سيدفعون ثمن فعلتهم! أنت الآن تستهزئ بهم يا ستوكمان.

الدكتور ستوكمان: لكن يا عمي –

مورتن كيل: اجعلهم يبدون كالحمقى يا ولدي! (ينهض.) إن استطعت أن تخرج رئيس البلدية وأصدقاءه عن طورهم، فسأتبرع بمئة كراون مباشرة للفقراء!

الدكتور ستوكمان: هذا كرم كبير منك.

مورتن كيل: ليكن في علمك أنني لست رجلاً ثرياً. لكن لو فعلت ما قلته لك، فسأرضي خاطر الفقراء بخمسين كراون في عيد الميلاد.

يدخل هوفستاد من الردهة

هوفستاد: صباح الخير! (يتوقف) عفواً، هل أتيت في وقت غير مناسب؟

الدكتور ستوكمان: لا، تعال، تفضل بالدخول.

مورتن كيل (يضحك في خفوت مرة أخرى)**:** هل له أيضاً دخلٌ بالموضوع؟

هوڤستاد: ماذا تعني؟

الدكتور ستوكمان: في الواقع نعم.

مورتن كيل: لقد توقعت ذلك. إذاً سينشر الموضوع في الصحف! نعم، ستنجح في مسعاك يا ستوكمان. سأغادر الآن، وأدعكما معاً على انفراد.

الدكتور ستوكمان: أوه، ابق قليلاً يا عماه.

مورتن كيل: لا سأغادر. أخرج كل الحيل التي في جعبتك. والله، ستعينك هذه الحيل ولن تخسر. (يذهب، تصحبه السيدة ستوكمان إلى الخارج)

الدكتور ستوكمان (يضحك)**:** تصور يا هوڤستاد، ذلك الرجل العجوز لا يصدق كلمة مما أقوله عن شبكة المياه.

هوڤستاد: إذاً هذا ما كان –

الدكتور ستوكمان: أجل، هذا ما كنا نتحدث عنه. وأظن أنك أتيت للسبب ذاته أيضاً.

هوڤستاد: أجل. هل يمكنني أن آخذ دقيقة أو اثنتين من وقتك يا دكتور؟

الدكتور ستوكمان: الوقت الذي تشاء يا صديقي العزيز.

هوڤستاد: هل وصلتك أية أخبار من رئيس البلدية؟

الدكتور ستوكمان: ليس بعد. لكنه سيصل هنا عما قريب.

هوفستاد: منذ الليلة الماضية وأنا أفكر في الأمر ملياً.

الدكتور ستوكمان: وإلى أي شيء توصلت؟

هوفستاد: أنت طبيب ورجل علم، وأنت تَعُدّ مسألة المياه أمراً مستقلاً في ذاته. وأنا أرى أنه ربما لم يخطر ببالك أن لها علاقة وطيدة بأمور أخرى كثيرة.

الدكتور ستوكمان: لا أفهم ما تقصده بالضبط. [دعنا نجلس يا رفيقي العزيز. لا، هناك على الأريكة.]

يجلس هوفستاد على الأريكة، ويجلس الدكتور ستوكمان على كرسي ذي ذراعين مقابله إلى الطرف الآخر من الطاولة.

الدكتور ستوكمان: وماذا بعد؟

هوفستاد: لقد قلتَ البارحة إن تلوث المياه كان ناجماً عن مواد قذرة موجودة في التربة.

الدكتور ستوكمان: أجل، نحن متأكدون أن تلك القاذورات النابعة من مويلدال هي سبب المشكلة.

هوفستاد: سامحني يا دكتور، لكنني أظن أن السبب الحقيقي لتلك المشكلات موجود في مستنقع آخر.

الدكتور ستوكمان: أي مستنقع؟

هوفستاد: المستنقع الذي تتعفن فيه تدريجياًحياتنا الاجتماعية برمتها.

الدكتور ستوكمان: تباً، سيد هوفستاد، عمَّ تتحدث؟

هوفستاد: لقد وقعت شؤون هذه البلدة شيئاً فشيئاً في أيدي عصبة من البيروقراطيين.

الدكتور ستوكمان: مهلاً، لا يمكنك أن تشمل الجميع بهذا اللفظ.

هوفستاد: لا، ولكن الذين لا ينتمون إلى هذه الفئة ما هم إلا أصدقاء أو أتباع لمن ينتمون إليها. فالأغنياء وأصحاب المناصب هم الذين يتحكمون بحياتنا.

الدكتور ستوكمان: ولكنهم رجال أذكياء وعقلاء.

هوفستاد: وأين كان ذكاؤهم وعقلانيتهم حين وضعوا أنابيب المياه حيث هي الآن؟

الدكتور ستوكمان: لا، ذلك بالطبع كان عملاً أحمقَ. لكن الأمور ستعود إلى نصابها الآن.

هوفستاد: وهل تعتقد أنهم سيقومون بذلك عن طيب خاطر؟

الدكتور ستوكمان: سواء أأعجبهم ذلك أم لا، فهم مجبرون على تنفيذه.

هوفستاد: هذا إذا سُمِحَ للصحافة أن تقوم بدورها.

الدكتور ستوكمان: لن يكون ذلك ضرورياً يا صاحبي. أنا متأكد أن أخي سوف –

هوفستاد: آسف دكتور، لكن أنوي أن أتصدى للموضوع بنفسي.

الدكتور ستوكمان: في الصحيفة؟

هوفستاد: لقد قطعت عهداً على نفسي حين أصبحت مسؤولاً عن «منبر الشعب» بكسر حلقة أولئك المتعنتين من أصحاب الرؤوس المتحجرة الذين يمسكون بزمام الأمور.

الدكتور ستوكمان: لكنك أخبرتني بنفسك نتيجة ذلك. كانت الصحيفة على وشك الإغلاق.

هوفستاد: هذا صحيح، لقد كان علينا إبداء المرونة في تلك الأثناء إذا كان هناك خطر. لو سقط أولئك الرجال لما كانت الحمامات لتبنى. لكنها الآن موجودة فعلاً، ولم نعد بحاجة لهؤلاء الشرذمة من السادة.

الدكتور ستوكمان: ربما لم نعد بحاجة إليهم. لكننا مدينون لهم على أية حال.

هوفستاد: لن ننكر فضلهم أبداً. لكن صحفياً متطرفاً مثلي لا يمكنه أن يفوت من يده فرصة كهذه. علينا أن ندمر أسطورة أن أولئك الرجال لا يخطئون. يجب أن نقتلعها من جذورها مثل أي خرافة أخرى.

الدكتور ستوكمان: نعم، أنا معك في ذلك. لو كانت خرافة عليك بها.

هوفستاد: أفضل ألا أهاجم رئيس البلدية، لأنه أخوك. لكنني أعلم أنك مثلي ترى أن الحقيقة يجب أن تكون فوق كل اعتبار.

الدكتور ستوكمان: طبعاً. (يحتد) لكن -! لكن لايزال -!

هوفستاد: أرجو أن لا تأخذ فكرة سيئة عني. فأنا لست أكثر أنانية ولا أكثر طموحاً من الآخرين.

الدكتور ستوكمان: من قال إنك كذلك يا صاحبي؟

هوفستاد: أنا من بيئة فقيرة كما تعلم، وقد سنحت لي الفرصة لأرى ما الذي تحتاج إليه كثيراً الطبقات الدنيا من المجتمع. إنهم بحاجة لأن يشاركوا في إدارة الشؤون العامة. وهذا ما يطور القدرات والمعرفة والكرامة الإنسانية.

الدكتور ستوكمان: أقدر ذلك.

هوفستاد: كما أعتقد أنه ستكون على الصحفي الكثير من علامات الاستفهام لو فوت فرصة لتحرير العامة- [-القلة المضطهدة]. أعلم أن المسؤولين الكبار سيلقبونني بزعيم الدَّهماء وما إلى ذلك، لكنني لا آبه. طالما أن ضميري نقي، فأنا -

الدكتور ستوكمان: هذا هو الموضوع! لقد ضربت على الوتر الحساس، سيد هوفستاد! لكن مع ذلك - تباً- (قرعٌ على الباب) ادخل!

يظهر أسلاكسن، عامل المطبعة، عند مدخل الباب المؤدي إلى الردهة. يرتدي ثياباً سوداء متواضعة لكنها

مرتبة، ويضع ربطة عنق بيضاء وجعدة نوعاً ما، و يرتدي قفازات، ويمسك بيده قبعة حريرية.

أسلاكسن (ينحني)**:** أنا واثق أنك ستسامحني على جرأتي يا دكتور –

الدكتور ستوكمان (ينهض)**:** مرحباً! ألست أنت أسلاكسن عامل المطبعة؟

أسلاكسن: أنا بعينه يا دكتور.

هوفستاد (ينهض)**:** هل تبحث عني يا أسلاكسن؟

أسلاكسن: لا، لم يكن لدي فكرة أنني سأراك هنا. لكنني كنت أريد رؤية الدكتور نفسه.

الدكتور ستوكمان: حسناً، بماذا أستطيع أن أخدمك؟

أسلاكسن: هل صحيح ما أخبرني به السيد بيلينغ، أنك تفكر في أن تضع لنا شبكة مائية أفضل؟

الدكتور ستوكمان: نعم، من أجل الحمامات.

أسلاكسن: آه، نعم، لقد فهمت. حسناً، لقد أتيت لأخبركم أنني متضامن معكم فحسب.

هوفستاد (للدكتور ستوكمان)**:** أرأيت!

الدكتور ستوكمان: أنا ممتن جداً، لكن –

أسلاكسن: ستجد وقوفنا إلى جانبك نحن أصحاب المهن أمراً مفيداً، فنحن نشكل الأغلبية القوية المتماسكة في هذه البلدة –

حين نقرر ذلك، كما تعلم! ويُستحسن أن تكون الأغلبية معك يا دكتور.

الدكتور ستوكمان: هذا صحيح. لكنني لا أرى من الضروري أن نتخذ إجراءً معيناً الآن. من المؤكد أنها مسألة ستتحقق مباشرة –

أسلاكسن: نعم، لكن مع ذلك يجب أن تكون سعيداً بوجودنا معك. أنا أعرف كيف تفكر السلطات المحلية هنا. فأصحاب النفوذ هنا لا يتقبلون أية اقتراحات من الخارج. وبناء على ذلك ارتأيت أن من المناسب تنظيم مظاهرة بسيطة.

هوفستاد: هذا ما أعتقده أنا تماماً.

الدكتور ستوكمان: مظاهرة؟ وبأي صفة ستقومون بالتظاهر؟

أسلاكسن: طبعاً بكل انضباط يا دكتور. أنا دائماً أصر على الانضباط، فهو أولى فضائل المواطن. هذا رأيي على أي حال.

الدكتور ستوكمان: نعم، نعم، سيد أسلاكسن. آراؤك معروفة.

أسلاكسن: نعم أتصور ذلك، والآن هذا الموضوع المتعلق بشبكة المياه مهم جداً لنا نحن أصحاب المهن. يبدو أن الحمامات ستكون كما تقول منجم ذهب صغير للبلدة. فنحن سنعتمد على الحمامات في حياتنا المعيشية، وخاصة نحن أصحاب العقارات. لهذا السبب نريد أن ندعم المشروع بقدر ما نستطيع. وبوصفي رئيساً لنقابة أصحاب العقارات –

الدكتور ستوكمان: أجل؟

أسلاكسن: وبوصفي أيضاً عضواً في مجلس جمعية المعتدلين – طبعاً أنت تعلم أنني عامل معتدل–؟

الدكتور ستوكمان: طبعاً، طبعاً.

أسلاكسن: إذا من المنطقي أن يكون لي احتكاك كبير بالناس، ولأني مواطنٌ معروفٌ باتزاني وخضوعي للقوانين، كما تقول، فهذا يعني أن لي بعض النفوذ في البلدة – فأنا أملك بعض الصلاحيات – على الرّغم من أنني أنا من يقول ذلك.

الدكتور ستوكمان: أعي ذلك تماماً سيد أسلاكسن.

أسلاكسن: لذا سيكون من السهل علي أن أنظم خطبة، إذا اقتضى الأمر.

الدكتور ستوكمان: خطبة؟

أسلاكسن: نعم، كلمة تعبر عن امتنان مواطني هذه البلدة لك لأنك نفذت هذا المشروع وقدته إلى النجاح. وبالطبع، من المنطقي أن يكون خطاباً منضبطاً، حتى لا يزعج السلطات وأصحاب النفوذ. وبما أننا حريصون جداً في هذا الأمر، فلا أظن أن أحداً سيستاء، أليس كذلك؟

هوفستاد: حتى ولو لم يعجبهم ضمنياً، فهم –

أسلاكسن: لا،لا،لا! يجب ألا نزعج السلطات، يا سيد هوفستاد! فنحن لا نملك أن نتحدى الأشخاص الذين تقوم عليهم حياتنا.

لقد شهدت الكثير من هذه الأمور في حياتي، ولم يأت منها خير أبداً. لكن التعبير الرشيد عن الأفكار الحرة لا يسبب أية إساءة.

الدكتور ستوكمان (يصافحه): عزيزي أسلاكسن، لا يمكنني أن أعبر لك عن سعادتي الغامرة لما أتلقاه من دعم من مواطنيّ الكرام. أنا متأثر جداً. حسناً، الآن! ما رأيكم بكأس من الشيري؟

أسلاكسن: لا، أشكرك. لا أقرب المشروبات الروحية.

الدكتور ستوكمان: إذاً، ما رأيك بكأس من البيرة؟

أسلاكسن: شكراً، ولا تلك أيضاً يا دكتور. لا أحتسي الشراب صباحاً. والآن علي العودة إلى البلدة لأتحدث مع أصحاب العقارات الآخرين وأهيئ الأجواء.

الدكتور ستوكمان: هذا لطف منك حقاً، يا سيد أسلاكسن. لكنني ببساطة لست مقتنعاً أن كل هذه الجلبة ضرورية حقاً. أرى أن الأمور ستُحَلُّ من تلقاء نفسها.

أسلاكسن: تأخذ السلطات وقتاً طويلاً في اتخاذ القرارات يا دكتور. ويعلم الله أنني لا ألومهم -!

هوفستاد: سنوجه لهم ضربة بالصحف غداً يا أسلاكسن.

أسلاكسن: ليس بالعنف يا سيد هوفستاد! بل بالصبر والأناة. وإلا فستصل معهم إلى طريق مسدود. لن تندم إذا أخذت

بنصيحتي، فقد صقلت معارفي في مدرسة الحياة. حسناً إذاً، علي المغادرة. فالآن أنت تعرف يا دكتور أننا نحن أصحاب المهن نقف وراءك كالجدار. الأغلبية المتماسكة تقف إلى جانبك، مهما كانت العواقب.

الدكتور ستوكمان: أشكرك يا عزيزي أسلاكسن. **(يصافحه)** مع السلامة، مع السلامة!

أسلاكسن: هل ستمر بالصحيفة أيضاً يا سيد هوڤستاد؟

هوڤستاد: سألحق بك فيما بعد. لدي بعض الترتيبات أقوم بها أولاً.

أسلاكسن: أجل، أجل.

ينحني ويخرج. يصحبه الدكتور ستوكمان إلى الردهة.

هوڤستاد (حين يعود الدكتور): إذاً، ما رأيك بذلك يا دكتور؟ ألا تظن أن الوقت قد حان لتصحو هذه البلدة من كبوتها وضعفها وحيرتها؟

الدكتور ستوكمان: هل تقصد أسلاكسن؟

هوڤستاد: أجل. إنه صادق كفاية من ناحية، لكنه واحد من أولئك الغارقين في المستنقع. ومعظم الناس مثله، فهم يتأرجحون بين جهة وأخرى، ويقضون الكثير من الوقت في التفكير بكل مسألة، ولا يقومون بأي حركة، في أي اتجاه.

الدكتور ستوكمان: لكنني أرى أن أسلاكسن يبدو طيب السريرة.

هوفستاد: هناك شيء واحد أقدره أكثر من النية الطيبة. ألا وهو أن تعرف ماذا تريد وتمتلك الشجاعة للدفاع عن آرائك.

الدكتور ستوكمان: أنت محق في ذلك.

هوفستاد: لذلك أنا مصر على التمسك بهذه الفرصة، لأرى إن كنت أستطيع أن أحمل هؤلاء الحمقى أصحاب النوايا الطيبة على التصرف مثل الرجال. يجب إيقاف هذا الانبطاح للسلطة. هذا التخبط الذي قاموا به بشأن شبكة المياه هو خطأ يتعذر تسويفه، وهذه الحقيقة يجب أن تصل إلى مسمع كل مواطن يحق له التصويت.

الدكتور ستوكمان: حسناً تفعل إن كنت ترى في ذلك مصلحة المجتمع. لكن ليس قبل أن أتحدث مع أخي.

هوفستاد: على كل سأكتب افتتاحيتي. وإذا رفض رئيس البلدية اتخاذ أي إجراء، عندها –

الدكتور ستوكمان: لكن هذا غير وارد.

هوفستاد: إنه أمر محتمل. وماذا لو حصل؟

الدكتور ستوكمان: إن حصل أعدك حينئذٍ أنني –، أجل، يمكنك نشر تقريري. انشر الموضوع اللعين كله!

هوفستاد: هل هذا وعد؟

الدكتور ستوكمان (يسلمه المخطوطة): تفضل، خذها معك. اقرأها فلن يضرك ذلك في شيء؛ ويمكنك إعادتها لي فيما بعد.

هوفستاد: حسناً، سأقوم بذلك. والآن، إلى اللقاء يا دكتور.

الدكتور ستوكمان: رافقتك السلامة، رافقتك السلامة**!** لا تقلق سيد هوفستاد – كل شيء سيسير على ما يرام وبسلاسة. بسلاسة تامة.

هوفستاد: نعم، سنرى.

يومئ برأسه ويذهب عبر الردهة

الدكتور ستوكمان (يذهب إلى غرفة الطعام ويلقي نظرة)**:** كاثرين–! أوه، مرحباً بترا، هل أنت هنا؟

بترا (تدخل)**:** ألم يأت بعد؟

الدكتور ستوكمان: بيتر؟ لا. لكن كان لي حديث مطول مع هوفستاد. إنه متحمس جداً لاكتشافي. يبدو أنه ذو أهمية أكبر مما توقعت. لذا وضع صحيفته تحت تصرفي لأستخدمها حين أحتاج إليها.

السيدة ستوكمان: أتظن أنك ستحتاجها؟

الدكتور ستوكمان: أوه، لا أظن ذلك. لكن من الجميل أن يعلم المرء أن الصحافة الحرة تقف إلى جانبه. فهي لسان حال الفكر الحر. ماذا تظنين أيضاً؟ لقد زارني رئيس جمعية أصحاب العقارات!

السيدة ستوكمان: حقاً؟ وماذا يريد؟

الدكتور ستوكمان: سيدعمني أيضاً. سيدعمني الجميع حين وقوع أي مشكلة. أتعلمين من سيقف ورائي يا كاثرين؟

السيدة ستوكمان: وراءك؟ لا، لا أعلم. من يقف وراءك؟

الدكتور ستوكمان: الأغلبية العظمى.

السيدة ستوكمان: فهمت. وهذا شيء جيد أليس كذلك؟

الدكتور ستوكمان: طبعاً شيء جيد! (يفرك يديه، ويذرع الغرفة جيئةً وذهاباً) كم هو رائع أن يشعر المرء أن هناك من يقف معه جنباً إلى جنب من أبناء مدينته بأخوة ومحبة.

بترا: وذلك الشخص يقوم بأشياء جيدة ومفيدة، يا أبي.

الدكتور ستوكمان: نعم، ولمدينته أيضاً!

السيدة ستوكمان: جرس الباب يُقرع.

الدكتور ستوكمان: لا بد أنه هو! (طرق على الباب الداخلي) ادخل!

رئيس البلدية (يدخل من الردهة): صباح الخير.

الدكتور ستوكمان (بحرارة): مرحباً بيتر!

السيدة ستوكمان: صباح الخير يا سلفي. كيف حالك؟

رئيس البلدية: شكراً على سؤالك، حالي ما بين بين. (للدكتور) بعد خروجي من المكتب الليلة الماضية، استلمت رسالتك التي تتعلق بوضع المياه في الحمامات.

الدكتور ستوكمان: أجل. وهل قرأتها؟

رئيس البلدية: نعم.

الدكتور ستوكمان: حسناً! ما رأيك؟

رئيس البلدية (ينظر إلى الآخرين)**:** هممم –

السيدة ستوكمان: هيا بنا يا بترا.

تدخل هي وبترا الغرفة التي إلى اليسار.

رئيس البلدية (بعد وقفة قصيرة)**:** أكان من الضروري أن تقوم بكل تلك التحريات من وراء ظهري؟

الدكتور ستوكمان: حسناً، فعلت ذلك حتى أتيقن، أنا –

رئيس البلدية: وهل تيقنت الآن؟

الدكتور ستوكمان: أجل. لا بد أنك مقتنع برأيي الآن –؟

رئيس البلدية: هل تنوي إبراز هذه الوثيقة أمام مجلس الحمامات بصورة رسمية؟

الدكتور ستوكمان: بالطبع! لا بد من اتخاذ خطوة ما وبسرعة.

رئيس البلدية: لاحظت أن عباراتك في هذه الوثيقة مبالغ فيها نوعاً ما، كعادتك. فقد أوردت في تقريرك، من مجمل ما ذكرت، أننا سنقدم لزوارنا سماً بطيئاً في كل عام.

الدكتور ستوكمان: وهل يمكنك وصفه بغير ذلك يا بيتر؟ تصور الأمر! ذلك الماء سام حتى ولو اغتسلت به، فكيف حين تستخدمه للشرب. ونحن نقدمه لأولئك المرضى التعساء،

الذين أتوا عندنا لثقتهم بنا، كما أنهم يدفعون ما يملكون ليستعيدوا عافيتهم.

رئيس البلدية: واقتراحك أن علينا بناء مجرور لكي يسحب المياه الملوثة المزعومة القادمة من مدبغة مويلدال بعيداً، وأنه علينا تبديل شبكة أنابيب المياه كاملة.

الدكتور ستوكمان: هل لديك حل آخر؟ فأنا ليس لدي رأي غير هذا.

رئيس البلدية: لقد استدعيت هذا الصباح مهندس مجلس البلدة. وفي معرض حديثنا، ذكرت له من باب المزاح هذه الاقتراحات كشيء يحتمل القيام به في وقت ما في المستقبل.

الدكتور ستوكمان: في وقت ما في المستقبل؟

رئيس البلدية: فابتسمَ لما ظنه بالتأكيد مبالغة من طرفي، كما توقعت. هل كلفت نفسك وفكرت بتكاليف التغييرات التي تقترحها؟ طبقاً لما وصلني من معلومات، قد تتجاوز النفقات مئات الألوف من الكراونات.

الدكتور ستوكمان: ألهذه الدرجة؟

رئيس البلدية: أجل، لكن ليس هذا أسوأ ما في الأمر. فالعمل قد يستغرق سنتين على الأقل.

الدكتور ستوكمان: قلت سنتين؟ سنتين كاملتين؟

رئيس البلدية: على الأقل. وماذا نفعل بالحمامات خلال تلك المدة؟ هل نغلقها؟ نعم سنُجبَر على ذلك. هل تعتقد أن أحداً سيجازف بالقدوم إلى مدينتنا حين يعلم أن الماء موبوء؟

الدكتور ستوكمان: لكن هذا واقع يا بيتر!

رئيس البلدية: [كل هذا يحدث الآن حين يبدأ المشروع بدر الأرباح!] هناك مدن أخرى حولنا لديها مؤهلات لتكون مراكز استشفاء. أتظن أنهم لن يحاولوا إثارة اهتمام الزائرين؟ بالطبع سيفعلون. وسنفشل نحن. ولربما نضطر إلى الاستغناء عن كل ما أنفقناه، وحينها تكون أنت دمرت البلدة [التي أنجبتك].

الدكتور ستوكمان: أنا – دمرت –!

رئيس البلدية: هذه البلدة هي مجرد مركز استشفاء، ينبوع مياه معدنية، والحمامات هي مستقبلنا. لا بد أنك تدرك ذلك مثلي.

الدكتور ستوكمان: لكن ماذا تقترح أن نفعل؟

رئيس البلدية: تقريرك لم يقنعني تماماً من جهة أن الوضع بتلك الخطورة التي عبرت عنها.

الدكتور ستوكمان: لكن يا بيتر الوضع سيء حقاً. أو على الأقل سيكون كذلك في الصيف، حين يشتد الحر.

رئيس البلدية: كما قلت من قبل، أعتقد أنك تبالغ في خطورة الموقف. [فعلى الطبيب الكفء أن يعرف كيف يقدّر الأمور.

يجب أن يضع في حسبانه وقوع أضرار كهذه، وكيف يمكنه معالجتها في حال ظهورها وتفاقمها.

الدكتور ستوكمان: تابع كلامك.]

رئيس البلدية: إن مجاري المياه الحالية حقيقة واقعة، وعلينا القبول بها كما هي. لكن يمكنني القول إنَّ المجلس قد لا يعترض بشدة على مراعاة إمكانية تقديم بعض الإصلاحات بنفقات معقولة حين يحين الوقت المناسب.

الدكتور ستوكمان: وتظن أنني سأشترك في احتيال كهذا.

رئيس البلدية: احتيال!

الدكتور ستوكمان: هكذا يسمى. إنه قلة أمانة، كذب، جريمة بحق أهالي البلدة وبحق المجتمع ككل.

رئيس البلدية: كما نوهت منذ قليل، لم أستطع إقناع نفسي حتى الآن بوجود خطر محدق على وشك الوقوع.

الدكتور ستوكمان: بل اقتنعت! [بل يجب أن تقتنع! براهيني لا يمكن دحضها – وأنا متأكد من ذلك! وأنت توقن بذلك مثلي يا بيتر!] لكنك لن تقر بذلك، لأنك أنت من أصر على بناء الحمامات ومجاري المياه حيث هي الآن، والآن أنت ترفض الاعتراف بارتكابك خطأً فادحاً. لا تتغابى، أتظن أنني لا أعلم ما يجول بخاطرك؟

رئيس البلدية: لنفرض أنك محق. فإن ما أفعله، يأتي من قلق لحماية سمعتي، لأنني حريص في داخلي على مصلحة البلدة. فمن دون السلطة الأخلاقية لا يمكنني قيادة الأمور وتسييرها حسبما أراه الأنسب للصالح العام. لأجل هذا، ولأسباب أخرى متنوعة، أرى أنه من الأفضل ألا أقدم تقريرك لمجلس الحمامات. بل يجب كتمان أمره من أجل الصالح العام. وسأقوم فيما بعد بإثارة الموضوع للنقاش، وسنفعل بتعقل ما في وسعنا حيال ذلك. لكن يجب ألا يصل شيء من هذا الأمر المشؤوم إلى مسامع العامة، ولا كلمة واحدة.

الدكتور ستوكمان: حسناً، لا يمكنك كتمانها الآن يا بيتر.

رئيس البلدية: بل يجب كتمانها ولسوف يتم ذلك.

الدكتور ستوكمان: لا يمكن، كما أقول لك. الكثير من الناس علموا بالأمر.

رئيس البلدية: علموا؟ من علم بالأمر؟ لا تقل لي إنك تقصد أولئك من صحيفة «منبر الشعب»؟

الدكتور ستوكمان: [أجل، هم علموا أيضاً.] وستنظر الصحافة الحرة في بلدتنا إلى الأمر وكيف ستؤدي واجبك حياله.

رئيس البلدية (بعد وقفة قصيرة): أنت رجل أحمق للغاية يا توماس. ألم تضع في حسبانك عواقب هذا العمل عليك؟

الدكتور ستوكمان: عواقب؟ علي أنا؟

رئيس البلدية: أجل، عليك وعلى عائلتك.

الدكتور ستوكمان: تباً، ما الذي تقوله بحق الشيطان؟

رئيس البلدية: أظن أنني كنت مثال الأخ الجيد معك دائماً، أيا ما كانت المساعدة التي تحتاجها.

الدكتور ستوكمان: لقد كنت فعلاً، وأشكرك على ذلك.

رئيس البلدية: أنا لا أسألك الشكر. فقد كنتُ مجبراً على القيام بذلك إلى حد ما – لمصلحتي الشخصية. [لطالما تمنيت أن أكبح جماحك قليلاً لأحسن وضعك المالي.

الدكتور ستوكمان: ماذا! لقد كان لمصلحتك الشخصية أنك –

رئيس البلدية: قلت لك إلى حد ما.] من الصعب على موظف حكومي بارز أن يرى أقرب الناس إليه يقضي حياته معرضا نفسه للشبهات.

الدكتور ستوكمان: أتظن أنني كذلك؟

رئيس البلدية: هذا ما تفعله للأسف، دون أن تدري. فأنت ذو طبيعة ثائرة، وقلقة، ومولعة بالخصام. نضيف إلى ذلك شغفك المشؤوم بالاندفاع لنشر ما يتيسر لك من مواضيع. فكلما خطر لك خاطر، عليك أن تجلس، وتكتب مقالاً صحفياً، أو نشرة كاملة حول تلك الخاطرة.

الدكتور ستوكمان: بالطبع، أليس من واجب المواطن أن ينقل فكرة جديدة خطرت له إلى الناس؟

رئيس البلدية: لا يريد الناس أفكاراً جديدة. فهم يعيشون بأفضل حال مع الأفكار القديمة التي قبلوا بها في الماضي.

الدكتور ستوكمان: وتجرؤ على قول هذا في وجهي!

[**رئيس البلدية:** أجل يا توماس. فعلي أن أكلمك بوضوح وبصورة حاسمة هذه المرة. حتى هذه اللحظة كنت أحاول تجنب ذلك، لأنني أعلم كم أنت متسرع. لكن الآن علي إخبارك الحقيقة. أنت لا تدري كم تسيء لنفسك بتهورك هذا. فأنت تزعج السلطات، وحتى الحكومة أيضاً. أنت تشهر بهم، وتدعي أنك مُهان ومُضطهد. لكن ماذا تتوقع غير ذلك وأنت شخص مثير للمتاعب؟

الدكتور ستوكمان: إذاً، أنا مثير للمتاعب، أليس كذلك؟]

رئيس البلدية: أوه توماس، أنت يستحيل العمل معك. [لقد لمست هذا بنفسي.] أنت لا تراعي مشاعر الآخرين أبداً. حتى يبدو أنك نسيت أنني أنا من يجب أن تشكره لمنحك عمل طبيب مشرف على الحمامات-

الدكتور ستوكمان: كان ذلك من حقي! فأنا أول من رأى أن هذه البلدة يمكن أن تكون مركزاً مزدهراً للاستشفاء بالمياه. [كما أنني كنت الشخص الوحيد الذي لاحظ ذلك في تلك الأثناء.] لقد كافحت وحدي سنوات طوال من أجل هذه الفكرة. لقد كتبت، وكتبت -

رئيس البلدية: لا أحد ينكر ذلك. لكن الوقت لم يكن مناسباً حينئذٍ. [وبالطبع ما كنت لتعلم بذلك طالما أنك عالق في تلك المنطقة الشمالية المنسية.] لكن حين حانت اللحظة المناسبة، توليت أنا وآخرون الموضوع-

الدكتور ستوكمان: نعم، وضربتم بخطتي الرائعة عرض الحائط! طبعاً، والآن يتضح من النتائج كم كنتم عباقرة!

رئيس البلدية: ما أراه الآن هو أنك تبحث عن سبب آخر للمشاكسة. فمن عاداتك افتعال المشاجرات مع رؤسائك، إنه عيب قديم فيك. فأنت لا تحتمل أن يكون لأحد سلطة عليك. [فأنت تنظر بازدراء لمن يحتل منصباً أعلى من منصبك. وتحسبه عدوك الشخصي، عندها لا يهمك السلاح الذي تستعمله ضده.] لكنني الآن أوضح لك خطورة الأمر على البلدة، وعلي أيضاً. وأنا لستُ مستعداً للمساومة.

الدكتور ستوكمان: ماذا تعني؟

رئيس البلدية: طالما أنك أصبحت طائشاً إلى هذا الحد لا تقدر على مناقشة هذه المسألة الحساسة، والتي كان يفترض بك إبقاؤها سراً مهنياً، فمن الواضح أن السكوت غدا لا ينفع الآن. ستنتشر إشاعات من كل نوع، وسيلفق الحاقدون بيننا وسيضيفون تفاصيل من عندهم عليها. وبهذا يتحتم عليك إنكار هذه الإشاعات علناً.

الدكتور ستوكمان: لا أفهمك.

رئيس البلدية: أنا واثق أنك لو أجريت تحريات أكثر، ستقتنع أن الأمر ليس بهذه الخطورة التي تصورتها بادئ الأمر.

الدكتور ستوكمان: آها، أنت واثق، أليس كذلك؟

رئيس البلدية: وأنا متأكد أيضاً أنك ستعبر علناً عن ثقتك بأن المجلس سيعالج أي خلل قد يحدث [وأنهم باجتهاد وضمير حي سيتخذون الإجراءات الضرورية بخصوص ذلك.]

الدكتور ستوكمان: لكنكم لن تستطيعوا إصلاح الخلل بمجرد عملية ترقيع! وأنا أقول لك يا بيتر، ما لم تبدؤوا العملية من الصفر، فلدي قناعة مطلقة أن –

رئيس البلدية: ليس لك الحق بأن يكون لك قناعاتك المستقلة بصفتك موظفاً.

الدكتور ستوكمان (متفاجئاً)**:** لا يحق لي؟

رئيس البلدية: لا يحق لك بوصفك موظفاً. أما بصفتك الفردية يعلم الله فهذا أمر آخر. لكن كونك موظفاً تابعاً للحمامات، فأنت لا تملك الحق في التعبير عن أي رأي يتعارض مع رأي رؤسائك.

الدكتور ستوكمان: هذا كثير جداً. أنا الطبيب، رجل العلم، لا يحق لي –!

رئيس البلدية: المسألة ليست مسألة علم وحسب. [إنها مسألة معقدة.] ويجب تناولها من الناحيتين التقنية والاقتصادية.

الدكتور ستوكمان: لا يهمني تعريفك ذلك الأمر اللعين! فأنا أتمتع بكامل الحرية في التعبير عن رأيي في المواضيع كلها!

رئيس البلدية: قل ما تشاء طالما أن الموضوع لا يتعلق بالحمامات، لأننا نمنعك من التدخل في شأنها.

الدكتور ستوكمان (يصرخ): أنت تمنعني-! أنت-! أنت لست إلا -

رئيس البلدية: نعم، أنا أمنعك، فأنا رئيسك! وحين أمنعك من فعل شيء ما، عليك الانصياع للأمر.

الدكتور ستوكمان (يضبط أعصابه): بيتر، أقسم أنك لو لم تكن أخي -

بترا (تفتح الباب فجأة): لا تخضع لهذا الأمر يا أبي!

السيدة ستوكمان (تتبعها): بترا، بترا!

رئيس البلدية: إذاً كنتما تسترقان السمع.

السيدة ستوكمان: كانت أصواتكما عالية، ولم نستطع إلا أن نسمع-

بترا: أنا كنت أنصت لحديثكما.

رئيس البلدية: حسناً، أنا لست آسفاً على شيء -

الدكتور ستوكمان (يقترب منه أكثر): كنت تحدثني عن أشياء كالمنع والطاعة؟

رئيس البلدية: أنت أجبرتني على استخدام تلك اللهجة.

الدكتور ستوكمان: وتتوقع مني أن أتراجع عن كلامي علناً؟

رئيس البلدية: سنعدّ إصدارك بياناً بما أشرتُ عليك وضرورة حتمية.

الدكتور ستوكمان: وإذا رفضت؟

رئيس البلدية: حينها سنضطر نحن لإصدار مذكرة شرح لتهدئة الجمهور.

الدكتور ستوكمان: فليكن! لكنني سأكتب وأدحض أقوالك. وسأصر على رأيي، وسأثبت أنني على صواب، وأنك مخطئ. ماذا ستفعل حينها؟

رئيس البلدية: حينها سأكون مجبراً على فصلك من العمل.

الدكتور ستوكمان: ماذا -!

بترا: أبي! يفصل!

السيدة ستوكمان: فصل عن العمل!

رئيس البلدية: فصل من منصبك بوصفك موظف صحة حكومياً. وسأضطر لتوجيه إنذار مباشر لك، وأجردك من أي صلة لك بشؤون الحمامات.

الدكتور ستوكمان: وصلت بك الوقاحة أن تفعل هذا؟

رئيس البلدية: أنت الذي بلغت الوقاحة.

بترا: عمي، هذه طريقة مشينة تتعامل فيها مع أبي.

السيدة ستوكمان: اهدئي يا بترا.

رئيس البلدية (ينظر إلى بترا): أرى أنه قد أصبح لدينا هنا آراؤنا الخاصة، أليس كذلك؟ لكن بالطبع! (للسيدة ستوكمان) يا زوجة أخي، يبدو أنك الأكثر وعياً في هذا البيت. استخدمي تأثيرك في زوجك، واجعليه يدرك عواقب هذا الأمر معاً على عائلته و–

الدكتور ستوكمان: شأن عائلتي شيء يخصني أنا وحدي.

رئيس البلدية: – على عائلته، وعلى البلدة التي يعيش فيها.

الدكتور ستوكمان: أنا الذي أحمل في داخلي المصالح الحقيقية للبلدة! أنا أريد فضح كل الشرور التي ستظهر للملأ عاجلاً أو آجلاً. وسأثبت للناس أنني أحب هذه البلدة التي ولدت فيها.

رئيس البلدية: يا إلهي، هناك غشاوة على عينيك! كل ما تحاول فعله هو إيقاف مصدر ازدهار البلدة.

الدكتور ستوكمان: ذلك المصدر مسموم يا رجل! هل جننت؟ نحن نعيش من تسويق القذارة والمرض. وكل هذه الحياة الاجتماعية التي تتباهى بها مبنية على كذبة.

رئيس البلدية: هذه مجرد تصورات – إن لم تكن شيئاً أسوأ. فالرجل الذي يشهّر ببلدته التي يعيش فيها إنما هو عدو المجتمع.

الدكتور ستوكمان(يقترب نحوه): كيف تجرؤ على –!

السيدة ستوكمان (تقف بينهما): توماس!

بترا (تمسك والدها من ذراعه): حافظ على هدوئك يا أبيَ!

رئيس البلدية: لن أعرض نفسي للعنف. لقد حذرتك. ضع في حسبانك واجبك تجاه نفسك وتجاه عائلتك. إلى اللقاء. (يذهب)

الدكتور ستوكمان (يمشي جيئة وذهاباً): أرأيت يا كاثرين، كيف يعاملني، وفي منزلي أيضاً!

السيدة ستوكمان: نعم يا توماس. إنه عيب وفضيحة –

بترا: كنت أود الانقضاض عليه بيدي هاتين–!

الدكتور ستوكمان: إنه خطأي أنا. كان علي أن أفضحهم منذ زمن طويل. كان علي أن أكشر لهم عن أنيابي وأن أستخدمها! أيدعوني عدو المجتمع!يا إلهي، سأحاسبه عليها.

السيدة ستوكمان: لكن، يا عزيزي توماس، الحق مع القوة –

الدكتور ستوكمان: أنا الذي على حق!

السيدة ستوكمان: ما الفائدة في أن تكون على حق إن لم تمتلك القوة؟

بترا: أمي، كيف يمكنك قول ذلك؟

[**الدكتور ستوكمان:** إذاً أنت ترين أنه لا فائدة من أن يكون الحق إلى جانب المرء في مجتمع حر؟ هذه فكرة سخيفة يا كاثرين. إضافة إلى أن الصحافة الحرة إلى جانبي، والأغلبية العظمى تساندني، أليس كذلك؟ باعتقادي أن هذا قد يكون كافياً.

السيدة ستوكمان: كرمى لله يا توماس، لا تقل لي إنك تفكر في الوقوف في وجه أخيك؟

الدكتور ستوكمان: وماذا تتوقعين مني أن أفعل؟ ألا تريدينني أن أدافع عما أراه صواباً؟

بترا: أجل يا أبي، يجب أن تفعل ذلك.

السيدة ستوكمان: لن تستفيد شيئاً. حين يقررون ألا يفعلوا شيئاً، فلن يفعلوه.]

الدكتور ستوكمان (يضحك): أوه، كاثرين، فقط امنحيني بعض الوقت. سترين! سأقاتل في هذه المعركة حتى النهاية.

السيدة ستوكمان: أجل، وستكون النهاية أنك ستخسر وظيفتك. [سترى.

الدكتور ستوكمان: علي على الأقل أن أؤدي واجبي تجاه الناس، ومجتمعي. ويسمونني أيضاً عدو المجتمع-!]

السيدة ستوكمان: وماذا بشأن عائلتك يا توماس؟ [وبيتك؟ أتظن أنك ستقوم بواجبك تجاه من يعتمد عليك؟]

بترا: لا تفكري دائماً بنا فقط يا أماه.

السيدة ستوكمان: الكلام سهل عليك. بإمكانك تحمل ذلك، إن اقتضى الأمر. لكن فكر في الولدين يا توماس! [وفكر في نفسك أيضاً - وفيّ -

الدكتور ستوكمان: لا بد أنك جننت يا كاثرين! لو خضعت كجبان لبيتر وعصابته التعسة، فهل تعتقدين أنني سأنعم بلحظة سعادة في عدائك لهم؟

السيدة ستوكمان: لا أدري. لكني أدعو الله أن يقينا من السعادة التي سنتمتع بها لو استمريت في حفر قبرك بيدك. حينها لن يكون لك مورد للعيش، ولا راتب منتظم. ألا يكفينا ما عانيناه من هذا الأشياء في الماضي؟ تذكر ذلك يا توماس، وفكر ملياً في معنى ذلك.

الدكتور ستوكمان (يتلوى، يقاتل نفسه، ويطبق قبضتيه): أهذا ما تفعله طغمة من متزلفي المكاتب برجل حر شريف! أليس هذا أمراً مشيناً يا كاثرين؟

السيدة ستوكمان: أجل، صحيح أنهم عاملوك بخبث. لكن يعلم الله كم من الظلم على الإنسان أن يتحمل في هذه الدنيا. لدينا ولدان يا توماس.] انظر إليهما. ماذا سيحل بهما؟ [لا، لا، لن يطاوعك قلبك.]

في تلك الأثناء يدخل إيليف ومورتن حاملين كتبهما المدرسية.

الدكتور ستوكمان: صغيراي! (يقف فجأة، يحزم أمره). حتى لو دُمر العالم كله من حولي، لن أطأطئ رأسي. (يذهب إلى غرفته.)

السيدة ستوكمان: ماذا ستفعل يا توماس؟

الدكتور ستوكمان (عند مدخل الباب)**:** أريد أن أملك الحق بالنظر إلى عيون أبنائي حين يكبرون ويصبحون رجالاً أحراراً. (يدخل غرفته)**.**

السيدة ستوكمان (تنفجر بالبكاء)**:** أوه، كان الله في عوننا.

بترا: أبي محق يا أمي. إنه لن يستسلم.

يسأل الطفلان بارتباك عما يجري. تشير إليهما بترا بالذهاب.

الفصل الثالث

مكتب التحرير في صحيفة «منبر الشعب». في الصدر إلى اليسار، يوجد مدخل الباب. وإلى اليمين من الجدار نفسه، هناك باب آخر بألواح زجاجية يمكن من خلالها رؤية حجرة التنفيذ. وثمة باب آخر على الجدار إلى اليمين. تتوسط الغرفة طاولة كبيرة تغطيها الأوراق والصحف والكتب.و على يسار مقدمة المسرح، هناك نافذة يحاذيها مكتب بكرسي عال.و إلى جانب الطاولة زوج من الكراسي ذات الذراعين. وهناك المزيد من الكراسي على مدار الجدران. الغرفة كئيبة وغير مريحة، فالأثاث قديم، والكراسي متسخة وممزقة. وهناك كاتب أو كاتبان يعملان في حجرة التنفيذ. خلفهما طابعة يدوية تعمل.

هوفستاد جالس على المكتب يكتب. بعد بضع لحظات، يدخل بيلينغ من اليمين حاملاً بيده مخطوطة الدكتور.

بيلينغ: أنا أقول، أنا أقول، أنا أقول!

هوفستاد (وهو يكتب): هل قرأتها؟

بيلينغ (يضع المخطوطة على المكتب): يجب أن أقول إنني فعلت.

هوفستاد: إنها قوية جداً، أليس كذلك؟

بيلينغ: قوية؟ أقسم أنه سيشرّحهم. فكل مقطع في المخطوطة يشكل ضربة قاصمة.

هوفستاد: لكن مع ذلك لن يستسلم هؤلاء الأشخاص من أول ضربة توجه إليهم.

بيلينغ: هذا صحيح. لكننا سنستمر في توجيه الضربات إليهم، ضربة إثر أخرى، حتى تنهار جماعتهم الملعونة بأكملها. لقد خيل إلي، وأنا جالس هناك في الداخل أقرأ هذه المخطوطة، أنني أرى الثورة تلوح من بعيد.

هوفستاد (يستدير): شش، لا تدع أسلاكسن يسمع.

بيلينغ (يخفض صوته): أسلاكسن جبان، مثل قنديل البحر! إنه لا يملك شجاعة الرجال؟ لكنك تملك ستثبت على رأيك، وستنشر مقالة الدكتور، أليس كذلك؟

هوفستاد: أجل، إلا إذا تدخل رئيس البلدية –

بيلينغ: سيكون تدخله مزعجاً للغاية.

هوفستاد: مهما حدث، بإمكاننا استغلال الموقف لصالحنا. إن لم يوافق رئيس البلدية على اقتراح الدكتور، فسينقلب ضده أصحاب المهن جميعاً، أقصد جمعية أصحاب العقارات

والآخرين. وإن وافق، فسيعادي كل المسهمين الكبار في الحمامات، والذين يشكلون حتى الآن دعماً أساسياً له –

بيلينغ: طبعاً! وسيتوجب عليهم دفع الكثير من الأموال –

هوفستاد: أراهن على ذلك. وبعدها سنرى العصابة تتفكك، ويوماً بعد يوم سنلقي في مسامع الناس أخباراً بأن رئيس البلدية غير مؤهل لتسيير الأمور، وأن [كل المكاتب المسؤولة في البلدة، و] كل السلطات المحلية يجب أن يتسلمها أصحاب الفكر الحر.

بيلينغ: أقسم إنك محق! إنني أراها!إنني أراها! إننا واقفون على مشارف ثورة وشيكة!

نقر على الباب

هوفستاد: اصمت! (يصرخ) ادخل.

يدخل الدكتور ستوكمان من الباب إلى اليسار في مؤخرة المسرح.

هوفستاد (يذهب لتحيته): آه، لقد جاء الدكتور؟ أهلاً

الدكتور ستوكمان: هذه للنشر مباشرة يا سيد هوفستاد!

هوفستاد: إذاً هذا ما وصلتم إليه؟

بيلينغ: يا سلام!

الدكتور ستوكمان: قلت لك انشر مباشرة! نعم، هذا ما وصلنا إليه، حسناً، سأتعامل معهم الآن بالطريقة التي يريدونها. إنها الحرب الآن يا سيد بيلينغ.

بيلينغ: آمل أن تكون حرباً حتى النهاية. عليك بهم يا دكتور!

الدكتور ستوكمان: هذا التقرير ما هو إلا البداية. فرأسي مليء بالأفكار من أجل أربع أو خمس مقالات. أين أسلاكسن؟

بيلينغ (ينادي على مَن في حجرة التنفيذ): أسلاكسن، تعال إلى هنا لحظة.

هوفستاد: قلت أربع أو خمس مقالات أخرى؟ في الموضوع نفسه؟

الدكتور ستوكمان: لا، أوه، طبعاً لا يا صاحبي! لا، ستكون المقالات حول موضوعات مختلفة تماماً. لكنها تنبثق من الشأن ذاته المتعلق بشبكة المياه والمجاري. موضوع يقود إلى الآخر. الأمر كله أشبه بهدم بناء قديم. إنه كذلك تماماً.

بيلينغ: أقسم إن هذا صحيح! لقد أدركتَ فجأة أنك لن تتخلى عن منصبك أبداً حتى تهدم ذلك البناء العفن.

أسلاكسن (من حجرة التنفيذ): هدم! أنت بالتأكيد لا تفكر في هدم الحمامات يا دكتور، أليس كذلك؟

هوفستاد: لا، لا، لا تجزع.

الدكتور ستوكمان: لا، نحن نتحدث في موضوع آخر. حسناً سيد هوفستاد، ما رأيك بتقريري؟

هوفستاد: أعتقد أنه تحفة فنية لا مثيل لها –

الدكتور ستوكمان: أتعتقد ذلك؟ أسعدني ذلك، أسعدني كثيراً.

هوفستاد: إنه واضح جداً، ويمس الفكرة مباشرة؛ إذ إنك لا تحتاج أن تكون متخصصاً حتى تفهم فحواه. أنا واثق أن كل شخص مستنير سيقف إلى جانبك.

أسلاكسن: وكل شخص حكيم أيضاً، صدقوني.

بيلينغ: سواء أكانوا حكماء أم لا، ستساندك البلدة بأسرها.

أسلاكسن: إذاً، لا أظن أن علينا الخشية من نشر المقالة.

الدكتور ستوكمان: آمل جداً ذلك.

هوفستاد: ستظهر في عدد صباح الغد.

الدكتور ستوكمان: الحمد لله، رائع، فليس أمامنا وقت نضيعه، ولا حتى يوم واحد. أوه، سيد أسلاكسن، لي عندك طلب. أريدك أن تأخذ هذه المخطوطة على عاتقك شخصياً.

أسلاكسن: كما ترغب.

الدكتور ستوكمان: حافظ عليها وكأنها قطعة من الذهب. لا أريد أخطاء مطبعية! فلكل كلمة أهميتها. سأوافيكم فيما بعد، لربما تدعوني أطلع على نسخة تجريبية. لا أستطيع أن أصف لكم شوقي لرؤية المقالة مطبوعة، وموزعة بين أيدي الناس –!

بيلينغ: أجل، منتشرة بين الناس! كالصاعقة!

الدكتور ستوكمان: – وخاضعة لحكم كل مواطن فطن. لن يخطر على بالكم ما تعرضت له اليوم. يعلم الله بأي شيء تم تهديدي اليوم. يريدون حتى تجريدي من أبسط حقوقي الإنسانية –

بيلينغ: حقوقك الإنسانية!

الدكتور ستوكمان: [يريدون تحقيري، والتقليل من شأني لأصبح بمستوى المتسولين المعدمين.] ويطالبونني بوضع مصلحتي الشخصية فوق أقدس معتقداتي وأشرفها –

بيلينغ: أقسم أن الأمور زادت عن حدها!

هوفستاد: يمكنك توقع أي شيء من تلك العصبة.

الدكتور ستوكمان: [لكنهم لن يتمكنوا من النيل مني!] وسأوجه ضربتي إليهم بالأبيض والأسود! كل يوم سأهاجمهم في جريدة «منبر الشعب». سأكتسحهم بهجماتي واحدة تلو الأخرى –!

أسلاكسن: نعم، لكن تذكر –

بيلينغ: رائع! إنها الحرب! إنها الحرب!

الدكتور ستوكمان: سأجعلهم في الحضيض، [سأسحقهم،] سأدمر دفاعاتهم أمام كل رجل شريف! [والله لأفعلن ذلك!]

أسلاكسن: لكن افعل ذلك بتأن يا دكتور. تصرف باعتدال –

بيلينغ: لا،لا! لا تدخر ما لديك من بارود.

الدكتور ستوكمان (يتابع بهدوء): كما ترون، إنها ليست مسألة متعلقة بشبكة المياه والمجاري فحسب. بل يجب تنظيف المجتمع وتطهيره بأكمله –

بيلينغ: هذا هو الكلام الصحيح!

الدكتور ستوكمان: يجب الإطاحة بكل هؤلاء المرتزقة والمراوغين من الإدارات العامة! لا بد من التخلص منهم مرة واحدة! [اليوم تراءت أمامي هذه الصورة واضحة كل الوضوح. لست متأكداً من الطريقة التي سأتبعها. لكنني سأبدأ منذ الآن.] إننا بحاجة إلى دماء جديدة تحمل رايتنا يا أصدقاء! شباب! فخطواتنا القادمة يجب أن تكون راية قادة جدد.

بيلينغ: أتسمعون هذا الكلام، أتسمعون!

الدكتور ستوكمان: طالما أننا يد واحدة، [ستجري الأمور بسهولة ويسر!–] ستنطلق الثورة بانسياب مثل السفينة حين تنزلق في البحر! ألا توافقونني الرأي؟

هوفستاد: أعتقد أن لدينا الإمكانيات الكافية لوضع مقاليد الأمور في أيد أمينة.

أسلاكسن: في ظني أنه لن يكون هناك أي خطر طالما أننا نتصرف باعتدال.

الدكتور ستوكمان: من يهتم بالأخطار بحق الجحيم؟ أنا أقوم بذلك باسم الحق، وبدافع من ضميري.

هوفستاد: أنت شخص يستحق الدعم يا دكتور.

أسلاكسن: أجل، الدكتور صديق مخلص للبلدة، هذا مؤكد. والأكثر من ذلك أنه صديق للمجتمع.

بيلينغ: أقسم يا سيد أسلاكسن أن الدكتور صديق الشعب.

[**أسلاكسن**: أظن أن جمعية أصحاب العقارات ستستخدم تلك الجملة.]

الدكتور ستوكمان (يشد على أيديهم متأثراً): أشكركم يا أصدقائي الأعزاء الطيبين، أشكركم. إن ما تقولونه ليفرح قلبي. أما أخي فقد نعتني بألفاظ مختلفة عدة. لكن أقسم بالله إنني سأرد له الصاع صاعين. والآن، علي الذهاب لرؤية مريض مسكين. لكنني سأعود! اعتنِ بتلك المخطوطة يا سيد أسلاكسن. وأرجو منك ألا تحذف أياً من علامات التعجب. بل زد عليها إن استطعت. جيد، جيد! حسناً، إلى اللقاء! إلى اللقاء، إلى اللقاء!

يصافحهم، ويصطحبونه إلى الباب، ثم يخرج.

هوفستاد: سيكون مفيداً جداً لنا.

أسلاكسن: طالما بقي يهتم بالحمامات فقط. لكن إن حاول تجاوز ذلك، فليس من الحكمة أن نبقى معه.

هوفستاد: همم، هذا كله يعتمد على –

بيلينغ: حقاً إنك جبان لعين يا أسلاكسن!

أسلاكسن: جبان؟ ولم لا، خصوصاً حين يتعلق الأمر بمواجهة السلطات المحلية، أنا جبان سيد بيلينغ. هذا درس تعلمته في مدرسة الحياة. لكنك إن رفعت من مرتبتي للعمل في مجال السياسات العليا، ثم وضعتني بعدها في مواجهة الحكومة، فسترى عندها إن كنت جباناً أو لا!

بيلينغ: لا، لا، أنا متأكد أنك لست جباناً، لكنك تكون كذلك فقط حين تكون شديد التقلب.

أسلاكسن: ذلك لأنني أعرف مسؤولياتي بوصفي مواطناً! رمي الحكومة بالحجارة لن يضر المجتمع. فأولئك الأشخاص لا يهتمون – فهم لن يتزحزحوا قيد أنملة. لكن من الممكن إسقاط السلطات المحلية، وحينها قد تحصل على قلة تجربة في القيادة.[وستحصل على نتائج مأسوية لأصحاب العقارات وغيرهم.]

هوفستاد: لكن ماذا عن تثقيف الناس عن طريق حكمهم أنفسهم؟

أسلاكسن: حين يكون لدى شخص مصالح يدافع عنها، فلن يستطيع التفكير في كل شيء يا سيد هوفستاد.

هوفستاد: إذاً أرجو من الله ألا يكون لي مصالح أحميها.

بيلينغ: أتسمع، أتسمع!

هوفستاد: لست منافقاً، ولن أكون كذلك.

أسلاكسن: ليس على رجل السياسة أن يقطع عهوداً على نفسه سيد هوفستاد. وأنت، سيد بيلينغ، عليك وضع دعامة أو اثنتين لشراعك إن أردت وظيفة كاتب في مجلس البلدة.

بيلينغ: أنا -!

هوفستاد: أهذا صحيح يا بيلينغ؟

بيلينغ: طبعاً لقد قدمت طلباً للرد عليهم فحسب، أتفهمني.

أسلاكسن: حسناً، هذا ليس من شأني. لكن حيث إنني اتهمت بالجبن والتقلب، أحببت توضيح الأمر. سجلّي السياسي مفتوح أمام أي شخص للتقصي. فأنا لم أغير مواقفي أبداً. لايزال قلبي مع الشعب، لكنني لا أنكر أن إحدى أذني تنصت للسلطات. أي السلطات المحلية، على كل حال. (يذهب إلى حجرة التنفيذ).

بيلينغ: ألا يمكننا تغيير عامل المطبعة ذاك يا هوفستاد؟

هوفستاد: أتعرف شخصا آخر يدفع لنا النفقات [للطباعة والورق]؟

بيلينغ: من المزعج ألا يكون لدينا رأس مال.

هوفستاد (يجلس إلى المكتب): صحيح، لو أننا فقط نملك ذلك -

بيلينغ: وهل جربت أن تطلب من الدكتور ستوكمان؟

هوفستاد (يتصفح أوراقه): وما فائدة ذلك؟ إنه لا يملك فلساً واحداً.

بيلينغ: لا، لكن وراءه رجلاً طيباً. إنه مورتن كيل العجوز، ذلك الذي يسمونه «الغرير».

هوفستاد (وهو يكتب): هل تظن أنه يملك الكثير؟

بيلينغ: أقسم إنه يملك الكثير طبعاً! وجزء من ثروته سيؤول لعائلة ستوكمان. فهو مضطر للعناية بهم، ولو من أجل الأطفال على أي حال.

هوفستاد (يستدير نصف دورة): وهل تعوّل على ذلك؟

بيلينغ: أعول؟ أنا لا أعول على شيء أبداً.

هوفستاد: يفضل ألا تفعل. ولا تبني آمالك أيضاً على تعيينك كاتباً في المجلس، لأني واثق أنك لن تتعين.

بيلينغ: أتظن أنني لا أعلم ذلك؟ إن رفضي في تلك الوظيفة هو ما أريده بالضبط. فذاك الرفض سيشحذ من همتي. سيمنحني ذلك جرعة جديدة من السخط، وأنت بحاجة إلى ذلك في حال الركود هذه، حيث بالكاد يحدث شيء يثير الهمة فعلاً.

هوفستاد (وهو يكتب): أجل، أجل.

بيلينغ: حسناً، سيسمعون مني قريباً أشياء لا تسرهم! سأذهب لكتابة طلب لدعم مالي من جمعية أصحاب العقارات. (يذهب إلى الغرفة التي إلى اليمين).

هوفستاد (وهو جالس إلى المكتب، يعض على قلمه ويقول ببطء): همم! إذاً هكذا تجري الرياح! (نقر على الباب) ادخل!

تدخل بترا من الباب الذي إلى اليسار من نهاية المسرح.

هوفستاد (ينهض): آه، مرحباً! سعيد برؤيتك هنا.

بترا: اعذرني أرجوك –

هوفستاد (يقدم لها كرسياً بذراعين): ألن تجلسي؟

بترا: لا، شكراً. سأذهب بعد لحظة.

هوفستاد: أهناك شيء من والدك –؟

بترا: لا، شيء مني. (تخرج كتاباً من جيب معطفها.) ها هي ذي روايتك الإنكليزية.

هوفستاد: ولماذا تعيدينها إلي؟

بترا: لا أريد أن أترجمها.

هوفستاد: لكنك وعدت بذلك –

بترا: لم أكن قد قرأتها حينئذٍ. وأنت لم تكن قد قرأتها أيضاً!

هوفستاد: لا، فأنت تعلمين أنني لا أعرف الإنكليزية. لكن –

بترا: تماماً. لذلك أردت إخبارك - عليك أن تجد كتاباً آخر تنشره على نحو متسلسل. (تضع الكتاب على الطاولة.) لا يمكنك أن تنشر هذا في »منبر الشعب«.

هوفستاد: لم لا؟

بترا: لأنه مخالف لمعتقداتك تماماً.

هوفستاد: إذاً، هذا هو السبب؟

بترا: لا أظن أنك تفهمني. ففكرة الرواية الأساسية تدور حول قوة خارقة للطبيعة تعتني بمن يلقبون بالناس الأخيار في هذا العالم، وتقوم بأشياء تجعل كل الأمور تسير في النهاية لصالحهم، وفي النهاية تتم معاقبة الأشرار.

هوفستاد: حسناً هذا جيد. هذا بالضبط ما يحب الناس قراءته.

بترا: لكن أتريد أن تكون أنت من يقدم ذلك لهم؟ فأنت لا تؤمن بكلمة مما كتب. وأنت تدرك تماماً أن هذا لا يحدث في الحياة الواقعية.

هوفستاد: طبعاً لا. لكن ليس على المحرر أن يفعل دائماً ما يريد. عليه أن يساير مشاعر الناس في الأمور الثانوية. وفي النهاية، السياسة أهم شيء في الحياة، أو في الصحافة على الأقل. ولو أردت جذب الناس لأفكاري عن الحرية والتقدم، فليس علي أن أروعهم. فحين يجدون قصة أخلاقية كهذه في الصفحات الأخيرة من الجريدة، سيرغبون بالاطلاع ما نشرناه في الصفحات الأولى. إنها تعيد الطمأنينة إليهم.

بترا: أوه، حقاً! لا أعتقد أنك مخادع إلى ذلك الحد. فأنا لا أراك عنكبوتاً ينسج خيوطه ليصطاد القرّاء.

هوفستاد (يبتسم): أشكرك لأنك تأخذين عني فكرة سامية كهذه. أنا لست كذلك، في الواقع إنها ليست فكرتي بل فكرة بيلينغ.

بترا: فكرة بيلينغ!

هوڤستاد: أجل. لقد كان هنا ذلك اليوم يتحدث عن هذا الموضوع. إنه الشخص المتحمس كثيراً لننشر هذه الرواية. فأنا لم أسمع أبداً بهذا الكتاب.

بترا: وهل يحمل بيلينغ أفكاراً تقدمية كهذه –

هوڤستاد: إن من لا يعرفه يجهله. فقد سمعت منذ قليل أنه تقدم بطلب ليتعين كاتباً في مجلس البلدة.

بترا: لا أصدق ذلك يا سيد هوڤستاد. كيف يقبل أن يفعل شيئاً كهذا؟

هوڤستاد: يُفضَّل أن تسأليه هو.

بترا: لم أكن أتوقع ذلك أبداً من بيلينغ.

هوڤستاد: (ينظر إليها عن قرب): لم تتوقعي ذلك؟ هل يفاجئك الأمر لهذه الدرجة؟

بترا: أجل. أو لست متأكدة. في الحقيقة لا أعلم –

هوڤستاد: نحن معشر الصحفيين لا نساوي كثيراً، يا آنسة ستوكمان.

بترا: كيف يمكنك قول ذلك؟

هوڤستاد: هذا ما يخطر لي أحياناً.

بترا: أنت تقصد في أمور الحياة العادية لا يساوون شيئاً – يمكنني فهم ذلك. لكن الآن، بعد أن تبنيت قضية مهمة –

[**هوڤستاد:** أتعنين ذلك الشأن مع أبيك؟

بترا: أجل،ذاك ما عنيته.] أنت الآن تشعر بالتأكيد أنك ذو قيمة أكبر من معظم الرجال.

هوفستاد: أجل، فعلاً أشعر اليوم بشعور كهذا تقريباً.

بترا: أرأيت، هذا صحيح. أنت تشعر بذلك. أوه، إنها مهنة رائعة تلك التي اخترتها. أن تكون قادرا على اكتشاف الحقائق المطموسة وريادة مبادئ جديدة وجريئة – مجرد حقيقة الوقوف دون خوف للدفاع عن رجل مظلوم –

هوفستاد: خصوصاً حين يكون ذلك الرجل المظلوم هو – همم– كيف أقولها؟

بترا: عندما يكون ذلك الرجل شريفاً ومستقيماً؟

هوفستاد (بهدوء أكبر): كنت على وشك القول: حين يكون ذلك الرجل هو والدك.

بترا (مذهولة): سيد هوفستاد؟

هوفستاد: أجل بترا –يا آنسة بترا –

بترا: أهذا ما يبدو مهماً بالنسبة إليك؟ ألا تهمك القضية نفسها، أو الحقيقة، أو حقيقة أن هذا الموضوع يعني كل شيء بالنسبة لأبي –

هوفستاد: نعم، نعم، طبعاً، وهذه الأشياء تهمني–

بترا: لا، شكراً. لقد أطلقت القطة من مخبئها يا سيد هوفستاد. لن أصدقك أبداً بعد الآن. ولا في أي شيء.

هوفستاد: أيغضبك ذلك مع أنني فعلته من أجلك؟

بترا: أنا غاضبة لأنك لم تكن صادقاً مع أبي. كنت تتحدث معه وكأن الحقيقة ومصلحة الناس هما جل ما يهمك. لقد كنت تستغبينا. أنت لست الرجل الذي تتظاهر أنك هو. وهذا لن أسامحك عليه أبداً – أبداً!

هوفستاد: ليس عليك أن تتحدثي معي بهذه الحدة يا آنسة بترا. الآن على الأقل.

بترا: ولم ليس الآن؟

هوفستاد: لأن والدك يحتاج مساعدتي.

بترا: إذاً هذه هي حقيقتك!

هوفستاد: لا، لا، لم أكن أقصد ذلك. أرجوك صدقيني –!

بترا: أعرف ما علي تصديقه. إلى اللقاء.

أسلاكسن (يخرج خلسة مسرعاً من حجرة التنفيذ): يا إلهي، سيد هوفستاد! (يرى بترا) أوه هذا فأل سيء!

بترا: هاك الكتاب. بإمكانك إعطاؤه لشخص آخر. (تذهب باتجاه الباب).

هوفستاد (يتبعها): لكن، يا آنسة بترا –!

بترا: إلى اللقاء (تذهب).

أسلاكسن: سيد هوفستاد، أصغ إلي من فضلك.

هوفستاد: حسن، حسن، ما الأمر؟

أسلاكسن: رئيس البلدية واقف في الداخل، هناك في حجرة التنفيذ!

هوفستاد: رئيس البلدية؟

أسلاكسن: أجل. يرغب في التحدث إليك. لقد جاء من الباب الخلفي، فهو لا يريد أن يراه أحد على ما أظن.

هوفستاد: ماذا يريد يا ترى؟ لا، انتظر، من الأفضل أن – (يذهب نحو باب حجرة التنفيذ، يفتحه، ينحني ويدعو رئيس البلدية للدخول.)

هوفستاد: ألق نظرة إلى الخارج يا أسلاكسن، وتأكد أن لا أحد –

أسلاكسن: طبعاً. (يدخل إلى حجرة التنفيذ)

رئيس البلدية: لم تكن تتوقع رؤيتي هنا.

هوفستاد: بصراحة، لا.

رئيس البلدية (ينظر حوله): لقد رتبت مكتبك بشكل جميل. هذا لطيف جداً.

هوفستاد: أوه–

رئيس البلدية: وها أنا الآن هنا، جئت إليك لآخذ بعضاً من وقتك.

هوفستاد: لا، أبداً يا سيدي. بماذا يمكنني أن أخدمك؟ أرجوك اسمح لي – (يأخذ قبعة رئيس البلدية وعصاه ويضعهما على أحد الكراسي.) ألن تجلس؟

رئيس البلدية (يجلس إلى الطاولة): أشكرك.

يجلس هوفستاد أيضاً إلى الطاولة.

رئيس البلدية: ثمة شيء – شيء حدث لي اليوم وأزعجني كثيراً، يا سيد هوفستاد.

هوفستاد: حقاً؟ بالطبع لدى نيافتك الكثير من المسؤوليات –

رئيس البلدية: تتعلق هذه المسألة بالتحديد بالموظف الصحي للحمامات.

هوفستاد: أوه، الدكتور–؟

رئيس البلدية: لقد كتب تقريراً ما إلى مجلس الحمامات يتعلق ببعض العيوب المزعومة فيها.

هوفستاد: أنت تذهلني.

رئيس البلدية: ألم يخبرك؟ أظن أنه قال –

هوفستاد: آه أجل، هذا صحيح، لقد قال لي شيئاً –

أسلاكسن (من حجرة التنفيذ): يُفضل أن آخذ تلك المخطوطة –

هوفستاد: (في حال إثارة): همم– إنها هناك على المكتب –

أسلاكسن (يجدها): جيد.

رئيس البلدية: من المؤكد أنها هي.

أسلاكسن: أجل، إنها مقالة الدكتور يا سيدي.

هوفستاد: أوه، هل هذا ما كنت تتحدث عنه؟

رئيس البلدية: بالضبط. ما رأيك بهذه المقالة؟

هوفستاد: أنا بالطبع لست مختصاً، كما أنني تصفحتها فحسب –

رئيس البلدية: لكنك ستنشرها؟

هوفستاد: لا يمكنني أن أرفض مقالة موقعة من صاحبها–

أسلاكسن: ليس لي علاقة بمحتويات المقالة يا سيدي.

رئيس البلدية: طبعاً لا.

أسلاكسن: أنا فقط أطبع ما أتسلمه شخصياً.

رئيس البلدية: لا شك في ذلك.

أسلاكسن: إذاً بعد إذنك – (يذهب باتجاه حجرة التنفيذ).

رئيس البلدية: لا، انتظر لحظة سيد أسلاكسن. بعد إذنك سيد هوفستاد.

هوفستاد: بكل سرور سيدي.

رئيس البلدية: أنت رجل ذكي وحصيف يا سيد أسلاكسن.

أسلاكسن: يسرني أنك تراني هكذا يا سيدي.

رئيس البلدية: كما أنك رجل لك كلمتك في أكثر من مجال.

أسلاكسن: أوه، بالأحرى بين المتواضعين.

رئيس البلدية: إن دافعي الضرائب الصغار هم الأكثرية، هنا كما في أي مكان آخر.

أسلاكسن: أجل، هذا صحيح.

رئيس البلدية: وليس لدي أدنى شك أنك تعرف شعور معظمهم. أليس كذلك؟

أسلاكسن: نعم، أظن أنه يمكنني قول ذلك لسيادتك.

رئيس البلدية: حسن إذن، بما أن المواطنين الأقل غنى في هذه البلدة ميالون على نحو يستحق الثناء للقيام بهذه التضحية، أنا –

أسلاكسن: ماذا!

هوفستاد: تضحية –؟

رئيس البلدية: إنه تعبير جيد عن روح الشعب. تعبير رائع. كنت على وشك الاعتراف أنني لم أكن أتوقعه. لكنكم تعرفون رأي الشعب أكثر مني.

أسلاكسن: لكن، سيادتك –

رئيس البلدية: ويحتمل ألا تكون تضحية تستدعي دافعي الضرائب للقيام بها.

هوفستاد: دافعو الضرائب؟

أسلاكسن: لكنني لا أفهم – مالكو الأسهم من دون ريب –؟

رئيس البلدية: بناء على التقديرات الحالية فإن التغييرات التي يريد المدير الصحي إجراءها على الحمامات ستكلف حوالي ألفين أو ثلاث مئة ألف كراون.

أسلاكسن: هذا مبلغ كبير، ولكن –

رئيس البلدية: سنكون مجبرين طبعاً على تحصيل هذا المبلغ عن طريق البلدية.

هوفستاد (ينهض): من المؤكد أنك لا تعني أن المواطنين العاديين –؟

أسلاكسن: أتقصد أنك ستضيفها إلى الضرائب! أتودون أن تقضوا مالياً على أصحاب المهن؟

رئيس البلدية: ومن أين إذاً يمكننا تأمين المبلغ اللازم يا عزيزي أسلاكسن؟

أسلاكسن: هذا شأن السادة أصحاب الحمامات.

رئيس البلدية: لا يستطيع أعضاء المجلس إيجاد طريقة للموافقة على أية نفقات أخرى.

أسلاكسن: هل هذا شيء قطعي يا سيدي؟

رئيس البلدية: لقد نظرت في هذه القضية ملياً. فلو أراد الناس إحداث كل هذه التغييرات الشاملة، عليهم إذاً هم أنفسهم أن يدفعوا التكاليف.

أسلاكسن: لكن يا إلهي، أوه، أرجو عفوك سيدي! لكن هذا يغير الموقف كلياً سيد هوفستاد.

هوفستاد: بالفعل يغير الموقف.

رئيس البلدية: أسوأ ما في الأمر أننا سنكون مجبرين على إغلاق الحمامات لسنتين أو ثلاث.

هوفستاد: نغلقها؟ أتعني أن نغلقها كلياً؟

أسلاكسن: لسنتين؟

رئيس البلدية: نعم لأن العمل سيستغرق هذه المدة على أقل تقدير.

أسلاكسن: لكن، يا رب السماء، لن نتحمل ذلك سيدي! كيف سنعيش نحن أصحاب العقارات خلال تلك المدّة؟

رئيس البلدية: أخشى أن هذا سؤال يصعب الإجابة عنه يا سيد أسلاكسن. لكن ماذا تتوقع منا أن نفعل؟ هل تظن أن بإمكاننا استقبال زائر واحد هنا إذا نشرنا فكرة أن الماء ملوث، وأن البلدة كلها تعيش على المصارف؟

أسلاكسن: وهذا كله محض تخمين؟

رئيس البلدية: لا توجد قوة إرادة في الوجود تستطيع إقناعي بغير ذلك.

أسلاكسن: لكن إن كان الوضع كذلك. فلا يجدر بالدكتور ستوكمان أن – أرجو عفوك سيدي، لكن –

رئيس البلدية: أعترض على ملاحظتك يا سيد أسلاكسن، لكن أخشى أنها الحقيقة. لطالما كان أخي رجلاً متهوراً لسوء الحظ.

أسلاكسن: ألا تزال تريد دعمه فيما يقوم به سيد هوڤستاد؟

هوڤستاد: لكن من كان يتصور أن -؟

رئيس البلدية: لقد كتبت موجزاً عن الموقف من وجهة نظر شخص محايد، اقترحت فيه كيفية معالجة أي أخطاء قد تنجم عن الترتيبات الحالية في حدود الميزانية المالية المخصصة للحمامات حالياً.

هوڤستاد: هل تلك الوثيقة بحوزتك يا سيدي؟

رئيس البلدية (يتحسس جيبه)**:** أجل، لقد أحضرتها معي في حال طلبتَها -

أسلاكسن (بسرعة)**:** أوه، يا إلهي، ها هو قادم!

رئيس البلدية: من؟ أخي؟

هوڤستاد: أين- أين؟

أسلاكسن: إنه الآن يجتاز حجرة التنفيذ.

رئيس البلدية: يا للحظ السيء! لا أريد مقابلته هنا، ولا يزال لدي شيء آخر أريد التحدث فيه معك.

هوڤستاد (يشير باتجاه الباب إلى اليمين)**:** تفضل إلى الداخل ريثما يغادر.

رئيس البلدية: ولكن -؟

هوڤستاد: لا يوجد سوى بيلينغ هناك.

أسلاكسن: أسرع، أسرع يا سيدي! لقد وصل!

رئيس البلدية: حسن. لكن تخلصوا منه بأسرع ما يمكن.

يخرج من الباب الأيمن الذي يفتحه له أسلاكسن ويغلقه وراءه.

هوفستاد: اشغل نفسك بشيء يا أسلاكسن.

يجلس ويكتب. يبدأ أسلاكسن بتصفح مجموعة من الصحف الموجودة على كرسي إلى اليمين.

الدكتور ستوكمان (يدخل من حجرة التنفيذ): ها قد عدت إليكم من جديد! (يضع قبعته وعصاه جانباً)

هوفستاد (وهو يكتب): أبهذه السرعة يا دكتور؟ أسرع يا أسلاكسن بشأن ما كنا نتحدث عنه. لقد تأخرنا اليوم كثيراً.

الدكتور ستوكمان (لأسلاكسن): ألم تجهز النسخة التجريبية بعد؟

أسلاكسن (دون أن يلتفت): لا، لا أرى أنك تظن أنها ستجهز بهذه السرعة.

الدكتور ستوكمان: لا بأس. لكنني أنتظر بفارغ الصبر، وأنا أعلم أنكم تقدرون ذلك. لن أعرف طعم الراحة حتى أرى ذلك الشيء مطبوعاً.

هوفستاد: همم- سيتطلب طباعتها بعض الوقت. أليس كذلك يا أسلاكسن؟

أسلاكسن: نعم، أخشى ذلك.

الدكتور ستوكمان: حسن يا أصدقائي الأعزاء. سأعود لاحقاً. لا يهمني إن قطعت المسافة مرتين إن لزم الأمر. [ففي مسالة

حساسة كهذه، فيها مصلحة البلدة على المحك، على المرء ألا يشكو من بذل مجهود إضافي!] (يهم بالذهاب، لكنه يتوقف ويعود.) أوه بالمناسبة، هناك شيء آخر يجب أن أحدثك عنه.

هوفستاد: آسف، لكن ألا يمكنك تأجيله حتى وقت آخر -؟

الدكتور ستوكمان: يمكنني أن أوجزه لك بكلمتين. كل ما في الأمر أن [الناس حين سيقرؤون مقالتي في صحف الغد ويكتشفون أنني كنت أجهد تفكيري طوال الشتاء، أعمل بصمت لمصلحة البلدة -

هوفستاد: لكن يا دكتور -

الدكتور ستوكمان: أعلم ما ستقول. فأنت ترى أن ما قمت به ليس سوى واجبي اللعين - عملي بوصفي مواطناً. أجل، بالطبع، أعلم ذلك كما تعلمه أنت. ولكن] أتعلم، إن أبناء مدينتي، يا عزيزي، أولئك الناس الطيبون، يثقون بي كثيراً -

أسلاكسن: أجل، إن أبناء هذه البلدة كانوا يثقون بك ولا يزالون كذلك حتى الآن، يا دكتور.

[**الدكتور ستوكمان:** أجل، وهذا بالضبط ما يخيفني - أقصد أنهم عندما سيقرؤون المقالة، وبخاصة الفقراء منهم، ستبدو كأنها دعوة صريحة لهم لأن يتسلموا الإدارة الحكومية لمدينتهم مستقبلاً.

هوفستاد (ينهض): أصغ إلي يا دكتور، لا أريد أن أكتم شيئاً عنك –

الدكتور ستوكمان: آه، هل حدث شيء قبل قليل! كان علي أن أخمن! لكنني لا أريد حدوثه! إذا كانوا يرتبون أمراً ما، فأنا –

هوفستاد: مثل ماذا؟]

الدكتور ستوكمان: حسن، إذا تم ترتيب أي شيء كموكب مشاعل أو مأدبة طعام أو – تبرعات تعبيراً عن الامتنان، فعليك أن تقطع لي عهداً بأنك ستعارض كل ذلك. وأنت أيضاً يا سيد أسلاكسن! أتسمعني؟

هوفستاد: آسف يا دكتور، لكن يجدر بنا أيضاً أن نخبرك بالحقيقة عاجلاً أم آجلاً –

تدخل السيدة ستوكمان من الباب اليساري الموجود في نهاية المسرح، مرتدية قبعة ومعطفاً.

السيدة ستوكمان (ترى الدكتور): توقعت ذلك.

هوفستاد (يتجه نحوها): أنت هنا أيضاً سيدة ستوكمان؟

الدكتور ستوكمان: ماذا أتيت تفعلين هنا بحق الجحيم يا كاثرين؟

السيدة ستوكمان: لا بد أنك تعلم لماذ أتيت.

هوفستاد: ألن تجلسي؟ [أو ربما –؟]

السيدة ستوكمان: أشكرك، لا داعي أن تزعج نفسك. وعليك ألا تغضب لأنني أتيت إلى هنا لأحضر زوجي، فأنا أم لثلاثة أطفال، آمل أنك تدرك ذلك.

الدكتور ستوكمان: أوه حقاً، نحن نعلم ذلك يا كاثرين.

السيدة ستوكمان: حسن، لا يبدو لي أنك تفكر كثيراً بزوجك وأطفالك هذه الأيام، وإلا فما كنت لتأتي إلى هنا وتسبب لنا التعاسة جميعاً.

الدكتور ستوكمان: هل جننت يا كاثرين؟ هل على المرء أن يُمنع من قول الحقيقة لأن لديه زوجة وأطفالاً، وأن يُمنع من أن يكون مواطناً نشيطاً فعالاً كي يخدم البلدة التي يعيش فيها، هكذا ببساطة؟

السيدة ستوكمان: آه يا توماس، ليتك فقط تكون منضبطاً بعض الشيء.

أسلاكسن: هذا بالضبط ما أقوله. لا بد من وجود الضابط في كل شيء.

السيدة ستوكمان: أما بالنسبة إليك يا سيد هوفستاد، فليس من حقك أن تقنع زوجي بترك منزله وعياله، وتخدعه ليورط نفسه في كل هذا –

هوفستاد: لم أخدع أحداً –

الدكتور ستوكمان: خُدعت! أتظنين أني أسمح لنفسي أن أُخدع؟

السيدة ستوكمان: أجل، لقد خُدعت. أعلم أنك أذكى رجل في البلدة، لكن من السهل جداً خداعك يا توماس. (لهوفستاد) لا تنسَ أنه سيخسر وظيفته في الحمامات لو نشرت ما كتبه –

أسلاكسن: ماذا!

هوفستاد: لكن يا دكتور – أنا –

الدكتور ستوكمان (يضحك): فليجربوا طردي! أوه، لا يا كاثرين – عليهم أن يأخذوا حذرهم! فأنا كما تعلمين إلى جانبي تقف الأغلبية.

السيدة ستوكمان: أجل، وهنا تكمن المشكلة. إنها ثلة مزعجة تلك التي تقف إلى جانبك.

الدكتور ستوكمان: هذا هراء يا كاثرين! عودي الآن إلى البيت واعتني بشؤونه، ودعيني أنا أهتم بشؤون المجتمع. كيف يمكن لك أن تخافي بينما يغمرني الهدوء والسعادة؟ (يفرك يديه معاً ويمشي جيئة وذهاباً.) الحقيقة والشعب سيكسبان المعركة، لا تقلقي أبداً! يمكنني أن أرى كل مواطن ذي فكر حر في هذه البلدة يسير قُدماً في جيش لا يقهر –! (يقف إلى جانب كرسي) تباً – ما هذا؟

أسلاكسن (ينظر إليها): يا إلهي!

الدكتور ستوكمان: إنها قبعة رسمية! (يأخذ قبعة رئيس البلدية ويمسكها بأصابعه بحرص ويرفعها في الهواء).

السيدة ستوكمان: قبعة رئيس البلدية!

الدكتور ستوكمان: وعصاه الرسمية أيضاً. ماذا تسمي هذا بحق الجحيم؟

هوفستاد: حسناً –

الدكتور ستوكمان: آه، لقد فهمت. لقد كان هنا ليتحدث إليك! (يضحك.) لقد أتى إلى الأشخاص الخطأ! ثم رآني في حجرة التنفيذ – (يضحك مقهقهاً.) هل هرب يا سيد أسلاكسن؟

أسلاكسن (بسرعة): أجل يا دكتور، لقد هرب من هنا.

الدكتور ستوكمان: هرب وترك عصاه و –؟ هراء! بيتر لم يترك شيئاً وراءه في حياته! آه، أجل، بالطبع – إنه هناك في الداخل! سترين الآن يا كاثرين!

السيدة ستوكمان: توماس، أتوسل إليك –!

أسلاكسن: لا تقم بتصرف متهور يا دكتور!

يضع الدكتور ستوكمان قبعة رئيس البلدية على رأسه ويأخذ عصاه. ثم يتوجه نحو الباب ويدفعه، يرفع يده إلى القبعة في وضعية تحية. يدخل رئيس البلدية محمراً من الغضب. يتبعه بيلينغ.

رئيس البلدية: ما معنى هذا التصرف المنافي للأخلاق؟

الدكتور ستوكمان: تصرف تجاهي بشيء من الاحترام رجاءً، عزيزي بيتر. فأنا الآن أمثل السلطة العليا في البلدة. (يمشي جيئة وذهاباً.)

السيدة ستوكمان (تجهش بالبكاء): توماس، أرجوك!

رئيس البلدية (يتبعه): أعد إلي قبعتي وعصاي!

الدكتور ستوكمان (لا يزال على موقفه): قد تكون مسؤولاً عن الشرطة، لكنني رئيس البلدية! أنا سيد البلدة بأسرها، أجل أنا!

رئيس البلدية: اخلع عنك تلك القبعة قلت لك! تذكر أن تلك القبعة شعار رسمي-

الدكتور ستوكمان: هراء! أتظن أن الأسد اليقظ في فكر الشعب سيسمح لنفسه أن يخاف من قبعة؟ أرغب في إعلامك أننا سنبدأ ثورة غداً. لقد هددت بطردي من العمل، والآن أنا أهدد بطردك - بتجريدك من كل مناصبك. أتعتقد أنني لا أستطيع؟ أنت مخطئ يا بيتر! ففي حلفي دخلت قوى الثورة الاجتماعية التي لا تقهر. فهوفستاد وبيلينغ سيجعلان جريدة »منبر الشعب« تدوي كالرعد، والسيد أسلاكسن سيسير على رأس حملة لجمعية أصحاب العقارات -

أسلاكسن: لا، لن أفعل يا دكتور.

الدكتور ستوكمان: أحقاً ما تقول!

رئيس البلدية: آها! لكن ربما يريد السيد هوفستاد أن يدعم هذه الثورة!

هوفستاد: لا سيدي.

أسلاكسن: السيد هوفستاد ليس بهذا الجنون ليدمر نفسه وصحيفته من أجل هلوسات.

الدكتور ستوكمان (يتلفت حوله): ما الذي يجري هنا بحق -؟

هوفستاد: لقد أثرت قضيتك بأسلوب خاطئ يا دكتور، لذا لا يمكنني الوقوف إلى جانبك.

بيلينغ: لا، فبعد أن تكرم نيافته وتشرح لي الموقف في الداخل، لا يفترض بي أن أدعمك -

الدكتور ستوكمان: أكاذيب! أنا سأدافع عن صحة ما جاء في تقريري. ما عليك سوى طباعته. يجب ألا أخاف لدفاعي عنه.

هوفستاد: لن أطبعه. فأنا لا أستطيع ولا أريد ولا أجرؤ على طباعته.

الدكتور ستوكمان: لا تجرؤ؟ أي هراء هذا؟ أنت المحرر، والمحررون هم الذين يحكمون الصحيفة.

أسلاكسن: لا، بل المشتركون بالصحيفة يا دكتور.

رئيس البلدية: لحسن الحظ.

أسلاكسن: إنه الرأي العام، والقارئ المثقف، وأصحاب العقارات، وهلم جراً - هم من يحكم الصحيفة.

الدكتور ستوكمان (بهدوء): وكل هذه القوى تقف ضدي؟

أسلاكسن: أجل. لو تم نشر تقريرك، فهذا يعني دمار المجتمع بأكمله.

الدكتور ستوكمان: فهمت.

رئيس البلدية: أعطني قبعتي وعصاي!

يخلع الدكتور ستوكمان القبعة ويضعها والعصا على الطاولة.

رئيس البلدية (يأخذهما): فرحتك الصغيرة هذه لن تدوم طويلاً.

الدكتور ستوكمان: لم ينته الأمر بعد. (لهوفستاد) إذاً أنت ترفض قطعاً نشر تقريري في «منبر الشعب»؟

هوفستاد: بالتأكيد. وذلك مراعاة لعائلتك، إن لم يكن لأسباب أخرى.

السيدة ستوكمان: أرجو أن تدعَ عائلته جانباً يا سيد هوفستاد.

رئيس البلدية (يأخذ ورقة من جيبه): هذا سيمنح العامة معرفة كاملة بالحقائق. إنه بمنزلة بيان رسمي، يا سيد هوفستاد –

هوفستاد (يأخذ الورقة): حسن. سأعمل على تجهيزه حالاً.

الدكتور ستوكمان: أما مقالتي فلا تُنشر! أنتم تعتقدون أن بإمكانكم خداعي ودفن الحقيقة! لكن الأمر لن يكون بالسهولة التي تتوقعونها. سيد أسلاكسن، خذ مخطوطتي واطبعها فوراً ككتيب، وعلى حسابي الخاص. سأنشرها بنفسي. أريد أربعمئة نسخة – خمس – لا، اجعلها ستمئة نسخة!

أسلاكسن: لن أطبعها لك ولو قدمت لي وزنها ذهباً يا دكتور. لا أجرؤ على ذلك. لن يسمح لي الرأي العام. ولن تجد أحدا يقبل طباعتها في أي مكان في هذه البلدة.

الدكتور ستوكمان: أعدها إلي إذاً.

يسلمه هوفستاد المخطوطة.

الدكتور ستوكمان (يأخذ قبعته وعصاه)**:** مع ذلك، سأعمل على أن يعرف الجميع محتوياتها. سأدعو إلى اجتماع عام وأقرؤها. على كل أبناء البلدة أن يعرفوا الحقيقة.

رئيس البلدية: لن تجد أحداً في هذه البلدة يؤجرك قاعة لهذا الغرض.

أسلاكسن: ولا واحد. أنا متأكد من ذلك.

بيلينغ: أقسم إنك لن تجد.

السيدة ستوكمان: هذا مخزٍ جداً. لِمَ يقف الجميع ضدك؟

الدكتور ستوكمان (باندفاع)**:** سأقول لك السبب. هذا لأن رجال هذه البلدة جميعاً هم نساء عجائز! فهم مثلك لا يفكرون إلا بعائلاتهم، ولا قيمة للشأن العام عندهم.

السيدة ستوكمان (تمسك بذراعه)**:** إذاً سأريهم أن – أن امرأة عجوزاً تقوم مقام الرجال – من الآن فصاعداً، أنا إلى جانبك يا توماس.

الدكتور ستوكمان: أحسنت القول يا كاثرين. يجب إعلان الحقيقة. والله لأفعلن ذلك. إن لم أتمكن من استئجار قاعة، فسأستأجر طبالاً يجول معي في البلدة، وسأقرأ مقالتي على الملأ في كل زاوية شارع.

رئيس البلدية: لا أظن أنك جننت إلى ذلك الحد.

الدكتور ستوكمان: بل جننت.

أسلاكسن: لن تجد رجلاً واحداً في البلدة كلها يذهب معك.

بيلينغ: أقسم إنك لن تجد.

السيدة ستوكمان: لا تستسلم يا توماس. سأطلب من الولدين أن يذهبا معك.

الدكتور ستوكمان: إنها فكرة رائعة.

السيدة ستوكمان: سيُسر مورتن للقيام بذلك. وكذلك إيليف، أنا متأكدة.

الدكتور ستوكمان: أجل، وكذلك بترا. وأنت يا كاثرين.

السيدة ستوكمان: لا، لا، ليس أنا. لكنني سأقف على النافذة وأراقبكم. نعم سأفعل.

الدكتور ستوكمان (يأخذها بين ذراعيه ويقبلها): أشكرك. حسناً أيها السادة الكرام، فلتقرع طبول الحرب، ولنرَ إن كان باستطاعة الخسة والدناءة والضعف إسكات رجل يريد تطهير المجتمع.

يخرج الدكتور والسيدة ستوكمان من الباب اليساري في نهاية المسرح.

رئيس البلدية (يهز رأسه مفكراً): الآن لقد قادها إلى الجنون هي أيضاً.

† † †

الفصل الرابع

غرفة كبيرة، ذات أثاث قديم في منزل القبطان هورستر. في الخلف يوجد باب مفتوح بدرفتين يقود إلى الردهة. وهناك ثلاث نوافذ في الجدار الذي إلى جهة اليسار. توجد أمام منتصف الجدار المقابل منصة وضع عليها طاولة صغيرة فوقها شمعتان، وزجاجة ماء، وكأس وجرس. الغرفة مضاءة أيضاً بمصابيح هلالية بين النوافذ. إلى اليسار من مقدمة المسرح، وُضعت طاولة عليها شمعة وراءها كرسي. إلى الأمام من مقدمة المسرح هناك باب، بجانبه عدة كراسي.

حشد كبير من المواطنين، من كل الطبقات. ضمن الحشد يمكن رؤية بعض النسوة هنا وهناك، كما أن هناك بعض طلاب المدارس. يتدفق الناس أكثر فأكثر تدريجياً من الباب الخلفي، ويملؤون الغرفة.

أحد المواطنين (لآخر، حين يصطدم به): مرحباً لامستاد! أنت هنا أيضاً هذا المساء؟

المواطن الثاني: أنا لا أفوت أياً من الاجتماعات العامة.

مواطن ثالث (يقف بجانبهما)**:** آمل أنك أحضرت صفارتك؟

المواطن الثاني: بالطبع. وأنت؟

المواطن الثالث: أتراهن! قال سكيبر إيــڤينسن إنه سيحضر بوقاً كبيراً جداً.

المواطن الثاني: إنه شخص مضحك، ذلك العجوز إيــڤينسن.

ضحك وسط الحشد.

مواطن رابع (ينضم إليهم)**:** أتساءل ما موضوع الاجتماع اليوم؟

المواطن الثاني: سيلقي الدكتور ستوكمان محاضرة يهاجم بها رئيس البلدية.

المواطن الرابع: لكن رئيس البلدية أخوه.

المواطن الأول: هذا لا يهم. الدكتور ستوكمان ليس خائفاً من أحد.

المواطن الثالث: لكنه مخطئ. هذا ما قالته صحيفة «منبر الشعب».

المواطن الثاني: أجل، لا بد إنه مخطئ هذه المرة. جمعية أصحاب العقارات لن تسمح له باستخدام قاعتها، وكذلك الأمر نادي الشعب.

المواطن الأول: حتى أنه لن يحصل على قاعة الاجتماعات الخاصة بالحمامات.

المواطن الثاني: حسن، ماذا تتوقعون؟

المواطن الأول: مع من برأيكم علينا أن نقف؟

المواطن الرابع: أبقوا أعينكم فقط على أسلاكسن العجوز، وافعلوا كما يفعل.

بيلينغ (يشق طريقه بين الجماهير المحتشدة، واضعاً حقيبة الوثائق تحت إبطه): اعذروني من فضلكم يا سادة. هل أستطيع المرور، لو سمحتم؟ أنا أعد تقريراً عن هذا الاجتماع لصحيفة «منبر الشعب». شكراً لكم. (يجلس إلى الطاولة التي إلى اليسار).

[**عامل:** من كان ذاك؟

عامل آخر: ألا تعرفه؟ إنه ذلك الشاب بيلينغ، الذي يعمل في صحيفة أسلاكسن.]

يدخل الكابتن هورستر من الباب اليميني عند مقدمة المسرح برفقة السيدة ستوكمان وبترا، معهم مورتن وإيليف.

الكابتن هورستر: أرى أن تجلسوا هنا. إن حدث شيء ما يمكنكم الانسحاب بسهولة.

السيدة ستوكمان: أتتوقع حدوث مشكلات؟

الكابتن هورستر: لا يمكن لأحد أن يعلم ما سيحدث مع حشد كهذا. لكن اجلسي ولا تقلقي.

السيدة ستوكمان (تجلس): كم هو لطيف منك أن تقدم لزوجي هذه القاعة.

الكابتن هورستر: حسناً، لم يقبل أحد ذلك، لذا قمت أنا.

بترا (التي جلست أيضاً): لقد كانت شجاعة منك أيضاً يا كابتن هورستر.

الكابتن هورستر: أوه، إن ذلك لا يتطلب شجاعة كبيرة.

يأتي هوفستاد وأسلاكسن من بين الجماهير، في الوقت نفسه لكن كل على حدة.

أسلاكسن (يتوجه نحو الكابتن هورستر): ألم يأت الدكتور بعد؟

الكابتن هورستر: إنه ينتظر في الداخل.

يحدث اضطراب بين الحشد من ناحية الباب الموجود في نهاية المسرح.

هوفستاد (لبيلينغ): رئيس البلدية هناك، أتراه؟

بيلينغ: أجل، أقسم! إذاً لقد أتى في النهاية.

يشق رئيس البلدية طريقه بين الجماهير بلطف، وهو يحيي الناس بأدب، ويجلس مقابل الجدار الذي إلى اليسار. بعد بضع دقائق، يدخل الدكتور ستوكمان من الباب إلى اليمين من مقدمة المسرح. يرتدي لباساً أسودَ مؤلفاً من معطف وربطة عنق بيضاء. يصفق بعض الناس غير متأكدين، يقابل ذلك بهمس خفيف. ثم يسود الصمت.

الدكتور ستوكمان (بصوت خفيض): كيف حالك يا كاثرين؟

السيدة ستوكمان: أنا بخير. (بهدوء أكبر). لا تفقد أعصابك الآن، يا توماس!

الدكتور ستوكمان: سأضبط نفسي، لا تقلقي. (ينظر إلى ساعته، يقف على المنصة وينحني.) لقد مضى ربع ساعة عن الوقت المحدد، سأبدأ إذاً - (يخرج مخطوطته).

أسلاكسن: بالتأكيد يجب انتخاب رئيس للجلسة أولاً.

الدكتور ستوكمان: لا، لا، لا داعي لذلك.

عدة رجال (يصرخون): أجل، أجل.

رئيس البلدية: أظن حقاً أننا يجب أن نختار رئيساً للجلسة.

الدكتور ستوكمان: لكن يا بيتر، لقد دعوت لهذا الاجتماع لألقي محاضرة!

رئيس البلدية: قد تؤدي محاضرة الدكتور لظهور آراء مختلفة.

عدة أصوات من الحشد: رئيس! رئيس!

هوفستاد: يبدو أن الرأي العام يطالب برئيس للاجتماع.

الدكتور ستوكمان (يضبط نفسه): حسن جداً. فلتنفذ رغبة الرأي العام.

أسلاكسن: ما رأيكم بأن يتولى سيادة رئيس البلدية تلك المهمة؟

ثلاثة رجال (يصفقون): براقو! أسمعتم! أسمعتم!

رئيس البلدية: أرى أنه يتوجب علي رفض هذا الشرف لأسباب أثق أنكم ستقدرونها. لكن لحسن الحظ، بيننا الآن رجل أظن أننا جميعاً سنوافق عليه. أرشح لذلك رئيس جمعية أصحاب العقارات، السيد أسلاكسن.

عدة أصوات: نعم، نعم، العجوز أسلاكسن الطيب. مرحى لأسلاكسن.

يأخذ الدكتور ستوكمان مخطوطته وينزل من المنصة.

أسلاكسن: بما أن أخوتي المواطنين يضعون ثقتهم بي، فلا يمكنني رفض دعوتهم.

تصفيق وهتاف. يصعد أسلاكسن إلى المنصة.

بيلينغ (يكتب)**:** «تم اختيار السيد أسلاكسن وسط هتاف...»

أسلاكسن: الآن بما أنني دُعيتُ لأقف هنا، أرجو أن تسمحوا لي أن أقول بضع كلمات مختصرة. أنا رجل معتدل ومحب للسلام، وممن يؤمنون بالتعقل في تقدير الأمور، وبالرأي السليم. ومن يعرفني يعرف ذلك عني.

عدة أصوات: نعم! هذا صحيح أسلاكسن!

أسلاكسن: لقد علمتني تجربتي في مدرسة الحياة أن أكثر الفضائل قيمة لدى المواطن هي الاعتدال –

رئيس البلدية: أتسمعون! أتسمعون!

أسلاكسن: [وإن التعقل، والاعتدال هما أفضل من يخدم المجتمع.] لذا، أقترح على أخينا المواطن المحترم الذي دعا إلى هذا الاجتماع أن يسعى جاهداً ليكون ضمن حدود الاعتدال وضبط النفس.

رجل مخمور (عند مدخل الباب): أحلى ثلاث هتافات لجمعية الاعتدال! في صحتها!

صوت: أطبق فمك اللعين.

عدة أصوات: سكوتاً، سكوتاً!

أسلاكسن: أرجوكم، من دون مقاطعة يا سادة. هل يرغب أحد أن يقول شيئاً قبل أن –

رئيس البلدية: أيها السيد الرئيس!

أسلاكسن: تفضل سيدي!

رئيس البلدية: الأمر الذي لا شك فيه، ويعيه الجميع هنا، أن ثمة علاقة وطيدة تربطني بالمدير الحالي للحمامات، وبناءً عليه فقد فضلت ألا أتحدث هذا المساء. بيدَ أن مركزي الرسمي على رأس تلك المؤسسة، وحرصي على تحصيل أفضل الفوائد للمدينة، أجبراني على اتخاذ قرار. ولا أظن أن أحداً من المواطنين الحاضرين هنا يرى من المستحسن نشر ادعاءات مريبة ومبالغ فيها خارج البلدة، حول الظروف الصحية للحمامات.

عدة أصوات: لا، لا، لا! طبعاً لا! نحن نعترض!

رئيس البلدية: لذا أقترح على هذا الاجتماع أن يرفض السماح للمدير الصحي المذكور آنفاً أن يقرأ أو يسهب في شرح نظرياته المتعلقة بالمسألة المثارة.

الدكتور ستوكمان (منفعلاً): يرفض السماح؟ ما هذا بحق الشيطان -؟

السيدة ستركمان (تسعل): إحم، إحم.

الدكتور ستوكمان (يتمالك أعصابه): حسن جداً. أنت ترفض السماح لي بذلك.

رئيس البلدية: في بيان لي لصحيفة «منبر الشعب» حاولت إطلاع الناس على الحقائق الأساسية، ليتمكن كل مواطن فطن من تكوين رأيه الشخصي. وقد أشرت، من بين عدة أشياء، بمعزل عن حقيقة أنهم سيتوصلون إلى التصويت بسحب الثقة عن مواطنين كبار في هذه البلدة - لكنّ اقتراحات المدير الصحي للحمامات سوف تثقل كاهل دافعي الضرائب بنفقات غير ضرورية تبلغ على الأقل حوالي مئة ألف كراون.

أصوات استنكار وبعض الصفير.

أسلاكسن (يقرع جرسه): حافظوا على النظام، رجاء أيها السادة. أستأذنكم أن نترك رأي سيادته لبرهة قصيرة جداً. وسأضيف أنني أرى أنه لدى الدكتور حافز أبعد، ولا شك أنه لا شعوري، لإثارة هذه الاضطرابات. [إنه يتحدث عن

الحمامات، لكن] ما يهدف إليه فعلاً هو الثورة. إنه يريد تسليم السلطة لأناس آخرين. لا أحد يشك في صدق نوايا الدكتور. [وتعلم السماء، أنه لا يختلف اثنان في ذلك!] فأنا أيضاً أؤمن بالحكم الذاتي للشعب، طالما أن ذلك لا يفرض نفقات ثقيلة على دافع الضرائب. لكن هذا ما قد يحدث هنا. لذا اعذروني إن لم أؤيد الدكتور ستوكمان هذه المرة. فبرأيي أن المرء يستطيع شراء الذهب بثمن باهظ أيضاً.

تعبير حي على الموافقة من كل الجهات

هوفستاد: أرى نفسي مجبراً أيضاً لأشرح موقفي. حازت ثورة الدكتور ستوكمان في البداية نجاحاً ملحوظاً، وأنا بنفسي أيدته دون تحيز بقدر ما استطعت. لكننا اكتشفنا فيما بعد أننا سمحنا لأنفسنا أن نُضلَّل بصورة مزيفة الحقائق –

الدكتور ستوكمان: هذا كذب!

هوفستاد: لنقل إذاً صورة لا يمكن الوثوق بها بشكل كامل. وقد أثبت بيان رئيس البلدية ذلك. وأظن أن لا أحد هنا يشك في أن آرائي حرة. ورأي «منبر الشعب» في المسائل السياسية الأساسية معروف لدى الجميع. لكنني تعلمت من أشخاص متعقلين وأصحاب خبرة أن من واجب الصحيفة أن تبدي بعض الحذر في الأمور المحلية.

أسلاكسن: هذا ما أشعر به تماماً.

هوفستاد: بالنسبة إلى الأمر الذي نناقشه الآن، من الواضح أن الرأي العام يقف ضد الدكتور ستوكمان. حسناً، أنا أسألكم يا سادة، ما الواجب الأساسي للمحرر؟ أليس أن يعبر عن آراء قرائه؟ أليس مؤتمناً على ما يوصف بأنه تفويض غير معلن عنه، ليدافع عن قضية أولئك الذين يحملون آراءَه نفسها، بكل ما يملكه من فصاحة؟ أو أنني مخطئ في هذا؟

عدة أصوات: لا، لا، لا! السيد هوفستاد على حق!

هوفستاد: لقد عانيت الصراعَ بيني وبين نفسي بسبب الانفصال عن رجل ترددت كثيراً لزيارته مؤخراً، فهو رجل لا يزال حتى اليوم يتمتع باحترام كبير من قبل إخوته المواطنين، رجل خطؤه الوحيد، بل والأساسي على كل حال، هو أنه اتبع قلبه لا عقله.

أصوات مجتمعة: هذا صحيح. يحيا الدكتور ستوكمان!

هوفستاد: لكن واجبي تجاه المجتمع لم يترك لي خياراً. وهناك اعتبار آخر يجبرني على الوقوف في وجهه، وذلك على أمل ثنيه عن الطريق المشؤوم الذي بدأ يخطو فيه الآن – مراعاة لعائلته –

الدكتور ستوكمان: دع كلامك في موضوع شبكة المياه والمجاري فحسب.

هوفستاد: – مراعاة لزوجه وأطفاله الذين تخلى عنهم.

مورتن: هل يعنينا نحن يا أمي؟

السيدة ستوكمان: شش!

أسلاكسن: سأفتح الآن المجال للتصويت على رأي السيد رئيس البلدية.

الدكتور ستوكمان: لا تزعج نفسك! لن أنطق بكلمة عن تلك الحمامات اللعينة. لا. هناك شيء آخر أخبركم به الليلة.

رئيس البلدية (بصوت منخفض)**:** تباً، ما ذاك الشيء؟

رجل مخمور (قرب مدخل الباب)**:** أنا أدفع الضرائب المترتبة علي! لذا يحق لي التعبير عن رأيي. وهو رأيي المطلق والواضح أن –

عدة أصوات: أنت هناك، إلزم الصمت!

آخرون: إنه مخمور! ارموه خارجاً!

يُصرف الرجل المخمور إلى الخارج

الدكتور ستوكمان: هل يمكنني التحدث؟

أسلاكسن (يقرع جرسه)**:** الكلام للدكتور ستوكمان.

الدكتور ستوكمان: لو حاول أحد منعي من الكلام بهذه الطريقة منذ أيام، لقاتلت مثل أسد للدفاع عن حقوقي الإنسانية المقدسة! لكن ذلك لم يعد يهم الآن. لدي الآن أشياء أكثر أهمية أود التحدث عنها.

يقترب الناس ويتجمعون من حوله. يظهر مورتن كيل بينهم.

الدكتور ستوكمان (يتابع): كنت أفكر ملياً في أشياء كثيرة خلال الأيام القليلة الماضية. لقد أطلت التفكير بعمق لدرجة أن رأسي في النهاية أخذ يدور –

رئيس البلدية (يسعل): إحم –!

الدكتور ستوكمان: لكن فيما بعد بدأ كل شيء يعود إلى نصابه.[لقد تراءت الصورة لي واضحة تماماً. لهذا ترونني أقف أمامكم هذا المساء.] أصدقائي، سأقدم على إعلان مفاجأة قوية لكم. سأخبركم حول الاكتشاف الذي لا حدود لأهميته تتضاءل إلى جانبه حقيقة أن شبكة المياه لدينا مسمومة وأن حماماتنا الصحية مقامة على المجاري!

عدة أصوات: دع الحمامات وشأنها! لا تتحدث عنها! لن نصغي إليك!

الدكتور ستوكمان: هذا الاكتشاف العظيم الذي توصلت إليه خلال تلك الأيام القليلة الماضية، هو أن منابعنا الروحية كلها مسمومة، وأن نظامنا الاجتماعي برمته الذي نتبجح به مشيد على مجارير من الأكاذيب.

أصوات مذهولة (تذمر بأصوات منخفضة): ما هذا؟ ماذا قال؟

رئيس البلدية: هذه تلميحات سخيفة –

أسلاكسن (يضع يده على الجرس): يجب أن أطلب من المتحدث أن يعتدل في لغته.

الدكتور ستوكمان: [لطالما أحببت مسقط رأسي هذا، وكان عزيزاً علي كما يحب أي رجل المكان الذي قضى فيه شبابه. لقد كنت شاباً حين تركت موطني، وقد ألقى النأي والجوع والذكريات، على الرغم من كل شيء، بريقاً بهياً على هذه البلدة وأهلها.

تُسمع أصوات هتاف وتصفيق.

الدكتور ستوكمان: لقد عشت سنوات عديدة في أرض بعيدة موحشة هناك في الشمال. [وكما كنت أتجول بين أولئك الناس الذين يعيشون على شكل جماعات فوق الجبال، وكنت غالباً ما أفكر أنه من الأفضل لتلك المخلوقات المتوحشة المسكينة أن يكون لها طبيب بيطري، لا رجل مثلي!

تمتمات

بيلينغ (يضع قلمه): أقسم إني لم أسمع في حياتي قط مثيلاً لذلك -!

هوفستاد: هذا تشويه قذر للمجتمع الريفي الفاضل!

الدكتور ستوكمان: انتظروا لحظة! لا أظن أن أحداً يستطيع القول إني نسيت مسقط رأسي وأنا هناك. كنت أجلس هناك كما البطة على البيض، والفرخ الذي فقسته كان الخطة التي وضعتها لهذه الحمامات.

تصفيق، وتمتمات تعبر عن عدم الموافقة.

الدكتور ستوكمان:] ثم بعد مدة طويلة، ابتسم لي القدر أخيراً وسمح لي بالعودة. [ثم، يا أخوتي المواطنين، ثم فكرت أنه لم يعد لي ما أتمناه في هذا العالم. لا –] بقي لي طموح واحد – رغبة عارمة للعمل من كل قلبي وروحي لمصلحة وطني ومجتمعي.

رئيس البلدية (محدقاً في الفضاء): لديك طريقة غريبة في عرض الموضوع.

الدكتور ستوكمان: لذا أتيت إلى هذه البلدة فرحاً، وقد أعمتني سعادتي باكتشافي الجديد. لكن صباح البارحة – لا، بل في الواقع مساء أول أمس– تفتحتْ عيناي، وأول شيء تبدى لهما كان شدة حماقة السلطات المحلية–

ضجة، وصراخ، وضحك. تسعل السيدة ستوكمان بصوت عال.

رئيس البلدية: أيها السيد الرئيس!

أسلاكسن (يقرع جرسه): بوصفي رئيساً لهذا الاجتماع، فإنني –

الدكتور ستوكمان: أوه، دعنا لا نبدأ المراوغة حول الكلمات يا سيد أسلاكسن. ما قصدته فقط هو أنني أدركت فجأة كيف تصرف رجال السياسة عندنا باهتياج حقيقي بشأن الحمامات. لا يمكنني تحمل السياسيين! لقد رأيت منهم الكثير في الأيام الماضية. إنهم كالماعز في مزرعة حافلة بالأشجار الفتية! إنهم يدمرون كل شيء، ويضعون العقبات في طريق كل

رجل حر، كيفما التف واتجه، وأنا أرغب في رؤيتهم يُقتلعون من جذورهم، ويُبادون مثلما تُباد الهوام الأخرى –

اهتياج في الغرفة.

رئيس البلدية: سيدي الرئيس، هل يُسمح بافتراءات كهذه.

أسلاكسن (يده على الجرس): يا دكتور ستوكمان –!

الدكتور ستوكمان: لا أفهم لمَ لمْ أستطع أبداً رؤية هؤلاء السادة على حقيقتهم من قبل. طوال الوقت كان أمام عيني تماماً مثال حي، أخي بيتر، متذبذب ومتبلد الذهن –!

ضحك، وفوضى وصفير. تجلس السيدة ستوكمان وتسعل. يقرع أسلاكسن جرسه بصوت عال.

الرجل المخمور (الذي عاد مجدداً): هل تتكلم عليَّ؟ اسمي بيترسن، لكن ألستَ لعيناً تماماً –

أصوات غاضبة: ارموا ذلك المخمور خارجاً! تخلصوا منه!

يُلقى الرجل المخمور خارجاً من جديد.

رئيس البلدية: من كان ذاك الرجل؟

رجل يقف إلى جانبه: لا أدري يا سيدي.

أسلاكسن: لقد كان الرجل ثملاً تماماً بالبيرة الألمانية. تابع يا دكتور؛ لكن أرجوك حاول أن تكون معتدلاً!

الدكتور ستوكمان: حسناً، يا أخوتي المواطنين، لن أتكلم أكثر على رجال السياسة في مدينتنا. لو ظن أحد مما قلته أنني

أتيت إلى هنا هذا المساء كي أسيء لهؤلاء السادة، فهو مخطئ، مخطئ تماماً. [لأنني أمتلك قناعة ثابتة أن هؤلاء المتقاعسين، هؤلاء المتبقين من عالم ميت، إنما يقطعون حناجرهم بأيديهم وبصورة مثابرة. وهم ليسوا بحاجة إلى طبيب يساعدهم في تسريع موتهم. وعلى كل، ليسوا هم الخطر الرئيس المحدق بالمجتمع!] فهم ليسوا الأشخاص الأكثر فعالية في تسميم منابع حياتنا الروحية [وتلويث الأرض التي نطؤها]! ليسوا هم أخطر أعداء الحقيقة والحرية في مجتمعنا!

صراخ من كل النواحي: مَنْ إذا؟ مَنْ هو؟ سمهم!

الدكتور ستوكمان: لا تقلقوا، سأسميهم! لأنه هذا هو الاكتشاف العظيم الذي اكتشفته اليوم! (يرفع صوته) أخطر أعداء الحقيقة والحرية هم الأغلبية! أجل، الأغلبية الحرة المتماسكة هم من يجب أن نخشاهم! الآن أنتم تعرفون مَنْ هم!

اضطراب كلي. الكل يصرخون تقريباً، يضربون الأرض بأقدامهم ويصفرون. بعض الرجال كبار السن يتبادلون النظرات خلسة ويبدو عليهم أنهم مستمتعون بما يجري. تنهض السيدة ستوكمان بقلق. وينطلق إيليف ومورتن يتوعدان الطلاب الذين يثيرون الفوضى. يقرع أسلاكسن جرسه ويطالب الجميع بالتزام الصمت. هوفستاد وبيلينغ

يتحدثان، لكن أحداً لا يستطيع سماع ما يقولان.و في النهاية يسود الصمت.

أسلاكسن: بصفتي رئيساً للاجتماع أطلب من المتحدث أن يسحب هذه التعليقات المسيئة.

الدكتور ستوكمان: لن أفعل يا سيد أسلاكسن! فالأغلبية في هذا المجتمع هم الذين يحرمونني من حريتي ويحاولون منعي من قول الحقيقة.

هوفستاد: الأغلبية دائماً على صواب.

بيلينغ: وأقسم إنهم يقولون الحقيقة.

الدكتور ستوكمان: الأغلبية ليست أبداً على صواب. أقول لكم أبداً. إنها إحدى كذبات المجتمع التي يجب على أصحاب العقول الحرة المفكرة أن تثور ضدها. من الذي يشكل الأغلبية – في أي بلد من البلدان؟ الحكماء أو الحمقى؟ أظن أنه علينا جميعاً أن نتفق على أن الحمقى هم الذين يشكلون أغلبية ساحقة مرعبة في كل أنحاء العالم! لكن أقسم بالله على استحالة صحة مقولة أن الحمقى يجب أن يحكموا العقلاء! (اضطراب وصراخ).أجل، أجل، يمكنكم أن تصرخوا ضدي، لكن لا يمكنكم القول إنني على خطأ! لسوء الحظ، الأغلبية تملك القوة، لكنها ليست على صواب. من هم على صواب هم بضعة أفراد معزولون مثلي! الأقلية دائماً على صواب! (اهتياج من جديد).

هوفستاد: إذاً الدكتور ستوكمان أصبح أرستقراطياً منذ أول البارحة!

الدكتور ستوكمان: لقد قلت مسبقاً إنني لا أريد أن أتكلم جزافاً على قطيع صغير من الخراف مقطوعة النفس والتي تلهث في مؤخرة القطيع. فلم تترك الحياة شيئاً مثيراً تقدمه لهم. لكنني أفكر في القلة، الأفراد الموجودين بيننا، الذين تبنوا براعم الحقائق الجديدة الواعدة على أنها شعارهم! هؤلاء الرجال يقفون عند المقدمة، في مكان متقدم جداً لم تصل إليه بعد الأغلبية المتضامنة، وهناك تراهم يناضلون من أجل تلك الحقائق التي لا تزال جديدة للغاية على وعي الإنسان، لذا ليس هناك أغلبية تدعمها.

هوفستاد: هكذا إذن، لقد أصبحت ثورياً!

الدكتور ستوكمان: أجل يا سيد هوفستاد، والله لقد فعلت. فأنا أنوي البدء بثورة ضد أكذوبة أن الحقيقة هي حكر على الأغلبية. ما هذه الحقائق التي تتشبث بها الأغلبية؟ إنها الحقائق الغارقة في القدم لدرجة أنها أصبحت في طريقها للزوال. لكن حين تصبح الحقيقة قديمة كل هذا القدم يا سادة، فإنها تصلح كي تصبح أكذوبة!

ضحك وسخرية.

الدكتور ستوكمان: أجل، أجل، صدقوني إن شئتم أو لا تصدقوا، كما يحلو لكم؛ أن الحقائق ليست زجاجة خمر كبيرة تعمر

طويلاً كما يعتقد الناس. فالحقائــق الطبيعيــة تعيــش تقريباً – ماذا عساي أن أقول؟ – بمعدل سبع عشرة إلى ثماني عشرة سنة – عشرين سنة كحد أقصى – ونادراً ما تعيش أكثر من ذلك. لكن الحقائق التي تبلغ هذا العمر تكون دائماً شديدة الوهن. [ومع ذلك، ما تلبث الأغلبية تدركها، وتقدمها للمجتمع على أنها علف روحي. ولكن] لا توجد فائدة غذائية عظيمة في ذلك النوع من الطعام، أؤكد لكم ذلك؛[وبما أنني طبيب، فأنا مضطلع بهذه الأمور.] كل حقائق الأغلبية هذه هي أشبه بلحم خنزير مملح مختزن من السنة الماضية؛ إنها لحوم فاسدة ومخضرة ومتعفنة. وهي سبب كل الوضاعة الأخلاقية التي تدنس مجتمعنا.

أسلاكسن: يبدو لي أن المتحدث الموقر خرج إلى حد ما عن الموضوع.

رئيس البلدية: أصادق بحرارة على ملاحظة رئيس الاجتماع.

الدكتور ستوكمان: أوه، حقاً يا بيتر، لا بد أنك قد جننت تماماً! فأنا ملتزم بموضوعي قدر إمكان أي رجل أن يفعل. إن فكرتي برمتها هي بالتحديد الآتي، أن الجماهير، الغوغاء، هذه الأغلبية اللعينة، هي التي تسمم منبع حياتنا الروحية وتلوث الأرض التي نمشي عليها!

هوفستاد: وبرأيك أن الأغلبية التقدمية العظيمة تقوم بذلك ببساطة من خلال كونها واعية كفاية وتصدق تلك الحقائق المعروفة عموماً والتي لا تقبل الجدل؟

الدكتور ستوكمان: أوه، عزيزي السيد هوفستاد، لا تحدثني عن الحقائق التي لا تقبل الجدل. إن الحقائق التي تعترف بها الجماهير والغوغاء هي تلك التي اعتنقها المفكرون التقدميون في أيام أجدادنا. أما نحن أبناء اليوم فلم نعد نعترف بها. وأنا فعلاً أؤمن أن هناك حقيقة واحدة لا تقبل الجدل. وهي أنه ليس هناك من مجتمع يمكن أن يحيا حياة صحية سليمة لو كان يقتات على حقائق بالية جوفاء.

هوفستاد: بدلاً من هذا التعميم، لم لا تضرب لنا بضعة أمثلة عن هذه الحقائق البالية الجوفاء التي نعيش عليها؟

تمتمات تنم على الموافقة من عدة جهات.

الدكتور ستوكمان: أوه، يمكنني أن أسرد لك قائمة من تلك الأشياء البغيضة التي تصدع الرأس، لكن بداية سأقتصر على حقيقة واحدة معترف بها والتي هي حقاً كذبة خاسئة، لكنها الحقيقة التي يعيش عليها السيد هوفستاد وجريدة «منبر الشعب» وكل أتباع «منبر الشعب» أيضاً.

هوفستاد: ألا وهي -؟

الدكتور ستوكمان: إنما هي المبدأ الذي ورثَته من أجدادك، والذي تابعت نشره هنا وهناك من دون تفكير. ذلك المبدأ هو

أن الأكثرية، أو الجماهير، أو الغوغاء هم قلب الشعب الحي، بل هم الشعب، وأن الرجل العادي، كل أولئك الجهلة والملايين من غير المؤهلين، لهم الحق نفسه بأن يجيزوا أو يدينوا، بأن ينصحوا ويحكموا، مثلهم مثل أفراد القلة المثقفة فكرياً للأرستقراطية.

بيلينغ: الآن، فعلاً، أقسم -!

هوفستاد (في الوقت نفسه يصرخ): سجلوا ذلك يا أخوتي المواطنين!

أصوات غاضبة: أووه، إذاً نحن لسنا الشعب أليس كذلك؟ إذاً أبناء الذوات والأعيان فقط هم من يملكون الحق بالحكم؟

عامل: ارموه خارجاً لأنه يتحدث بمثل هذا الكلام!

آخرون: اقذفوه عبر هذا الباب!

مواطن (يصرخ): انفخ في ذلك البوق يا إيـــفنسن!

تُسمع أصوات نفخات عالية. صفير وهياج غاضب في القاعة.

الدكتور ستوكمان (حين تضعف الضجة قليلاً): ألا يمكنكم أن تكونوا عقلانيين؟ ألا يمكنكم أن تتحملوا سماع الحقيقة ولو لمرة واحدة؟ أنا لا أطلب منكم أن توافقوني مباشرة، لكنني توقعت فعلاً أن السيد هوفستاد سيقر أنني كنت على حق لو فكر قليلاً في المسألة. في النهاية، يدعي السيد هوفستاد أنه من المفكرين الأحرار-

أصوات متفاجئة (تتمتم): قال ذو فكر حر؟ ماذا؟ هل السيد هوفستاد من المفكرين الأحرار؟

هوفستاد (يصرخ): أثبت ذلك يا دكتور ستوكمان! متى قلت ذلك في نشرات مطبوعة؟

الدكتور ستوكمان (يفكر): لا، أقسم إنك محق! فأنت لا تمتلك ولم تمتلك الشجاعة قط لتعترف بهذا أمام الملأ. حسناً، لن أحرجك يا سيد هوفستاد. فلأكن أنا صاحب مفكر حر إذاً. من معرفتي بالعلوم الطبيعية، سأظهر لكم جميعا الآن أن صحيفة «منبر الشعب» تخدعكم بشكل مخز للغاية حين تخبركم أنتم ملايين العامة، الحشود، الغوغاء أنكم لب الشعب وقلبه النابض. هذا مجرد كذب جرائد. الجماهير ليست سوى مادة خام قد تصقل في يوم من الأيام فتصبح أفراداً.

دمدمة، وضحك، واضطراب في القاعة.

الدكتور ستوكمان: حسن، أليست هذه هي الطريقة التي تعيش بها باقي المخلوقات؟ [انظروا إلى الفرق الشاسع بين سلالة حيوانية داجنة، وأخرى برية. انظروا فقط إلى دجاجة مزارع عادية. ماذا يصيبكم من لحم هذه المخلوقة القزمة؟ ليس الكثير. وما نوع البيض الذي تضعه؟ أي طائر عادي أو غراب يمكنه وضع بيض جيد. أما إن أخذتم دجاجة إسبانية أو يابانية، أو طائر الدُّرج الخجل الرائع أو ديك الحبش، فسترون الفرق. أو فلنتأملوا الكلاب، التي نشترك نحن البشر

معها في كثير من الصفات. فكروا أولا بكلب هجين بسيط – واحد من تلك الكلاب الهجينة القذرة الشعثاء العادية التي تشرد في الطرقات، وتلوث جدران منازلنا. ثم قارنوه مع كلب صيد ذي نسب أصيل، والذي كان أسلافه يتناولون وجبات شهية مترفة لعدة أجيال، والذين سنحت لهم الفرصة لسماع أصوات متناغمة وموسيقى. ألا تظنون أن دماغ ذلك الكلب متطور على نحو يختلف عن دماغ الكلب الهجين؟ أتراهنون بحياتكم على ذلك؟ إن جراء هذه الحيوانات الداجنة هي التي يعلمها المدربون تأدية أروع الحيل. أما الكلب الهجين العادي فلا يتعلم أشياء كهذه ولو حشوتم رأسه بها.

ضجة وضحك.

مواطن (يصرخ): إذاً نحن الآن كلاب أيضاً أليس كذلك؟

آخر: لسنا حيوانات يا دكتور!

الدكتور ستوكمان: بلى يا أصدقائي، نحن حيوانات! [لكن ليس بيننا كثير من الحيوانات الأرستقراطية. وثمة فرق شاسع بين الرجال الذين هم كلاب صيد مدربة، والرجال الذين هم كلاب مهجنة. وأسخف شيء في الموضوع، أن السيد هوفستاد يوافقني تماماً طالما أننا نتحدث عن الحيوانات ذات القوائم الأربع –

هوفستاد: حسناً، إنها مجرد بهائم.

الدكتور ستوكمان: حسن! لكن حالما أبدأ بتطبيق القانون على ذوي القائمتين، يتوقف السيد هوفستاد فجأة تجنبا للعواقب. ويقلب فلسفته كلها رأساً على عقب، ويصرح في »منبر الشعب« أن كلاب الشوارع هي بطلة مجموعة الحيوانات. لكن هذه هي الحال دائماً مع رجل تأسره هذه الطاعة العمياء للغوغاء، ولا يحاول إيجاد مخرج له من القيد الروحي والوصول إلى الأرستقراطية.

هوفستاد: لا أريد أي نوع من الأرستقراطية. فأنا أنحدر من جماعة فلاحين بسطاء، وأنا فخور بأن جذوري ضاربة في أصولها إلى الغوغاء الذين سخرت منهم أنت.

عدة عمال: مرحى لهوفستاد! مرحى، مرحى!

الدكتور ستوكمان: نوع الغوغاء الذي أتحدث عنه لا يمكن أن نجده فقط في قعر البرميل. إنه يحتشد ويعج من حولنا، حتى في الطبقات العليا من المجتمع. انظروا فقط إلى رئيس بلديتكم الدمث الأنيق! أخي بيتر عضو جيد في جموع العامة طالما أنه ينتعل حذائين؟

ضحك وهمس.

رئيس البلدية: أحتج على هذه الإهانات الشخصية.

[**الدكتور ستوكمان** (دون ارتباك): وهذا ليس لأنه نشأ مثلي من أصل قراصنة قدماء أشرار من بوميرانيا أو أي مكان آخر قريب هناك، لأننا أحفادهم –

رئيس البلدية: هذا سخف، هذه خرافة! أنا أرفضها!]

الدكتور ستوكمان: لكنه يظن ما يظنه رؤساؤه، وآراؤه هي الآراء التي سمعهم يعبرون عنها. والرجال الذين يفعلون ذلك ينتمون روحياً إلى الغوغاء. لذلك فإن أخي النبيل بيتر غير أرستقراطي لدرجة مخيفة في كل الأمور الأساسية، ومن ثمَّ مرتعب من كل شيء حر.

رئيس البلدية: سيدي الرئيس -!

هوفستاد: إذا الأرستقراطيون هم الأحرار في هذه البلدة؟ هذا حقاً اكتشاف جديد!

ضحك بين الجماهير المحتشدة.

الدكتور ستوكمان: نعم، هذا جزء من اكتشافي أيضاً. [والسبب هو أن التحررية هي تقريباً على الأغلب نفسها الأخلاقية.] وأنا أقول إنه يتعذر تماماً على «منبر الشعب» يوماً بعد يوم تسويغ الحقيقة الخاطئة بأن الجماهير، [الغوغاء، الأغلبية المتماسكة،] تحتكر التحررية والأخلاقية، وأن تلك الرذائل والفساد، وكل نوع من القذارة الروحية هي نوع من القيح الذي يرشح من الثقافة، مثله مثل تلك القاذورات التي تصب في الحمامات من مدابغ مويلدال!

فوضى ومقاطعات لحديثه.

الدكتور ستوكمان (دون أن يرتبك، يضحك من الحماسة): [ومع ذلك فإن صحيفة «منبر الشعب» هذه نفسها تبشر تلك

الجماهير والغوغاء أنهم لا بد أن يرتفعوا إلى مستوى معيشي أعلى! يا إلهي العظيم، إن كان ما تعلمه لنا صحيفة «منبر الشعب» صحيحاً، فإن رفع الجماهير سيكون ببساطة دفعهم إلى بداية طريق الخراب!] لكن لحسن الحظ إن فكرة كون الثقافة مفسدة للأخلاق هي حكاية خرافية قديمة موروثة. لا، بل الغباء، والفقر وشظف العيش هي الظروف التي تؤدي إلى عمل الشيطان! ففي منزل لا يدخل غرفه هواء، وتنظف الأرضية يومياً، تقول زوجتي كاثرين إنه لا بد من مسحها وفركها أيضاً، لكن قد يكون هناك رأيان حول ذلك الأمر، كنت أقول أنه في منزل كهذا سيفقد الناس مقدرتهم على التفكير الأخلاقي والعمل الأخلاقي في غضون سنتين أو ثلاث سنوات. فنقص الأوكسجين يضعف الضمير. وكما تخبرنا الوقائع، هناك نقص في الأوكسجين في الكثير، الكثير من منازل هذه البلدة، مادامت الأغلبية اللعينة برمتها تجردت من ضميرها لتطالب ببناء ازدهار مدينتها على مستنقع من الخداع والأكاذيب.

أسلاكسن: لا يمكنك توجيه اتهام كهذا للمجتمع كله!

رجل: إنني أطلب من الرئيس توجيه أمر للمتحدث بالانسحاب.

أصوات متحمسة: أجل، أجل! هذا صحيح. دعوه ينسحب!

الدكتور ستوكمان (ينفجر): إذا سأذيع الحقيقة صارخاً في كل زاوية شارع. سأكتب في صحف المدن الأخرى. يجب أن تعلم البلاد كلها ما يجري هنا!

هوفستاد: يبدو وكأن الدكتور يرغب في تدمير هذه البلدة.

الدكتور ستوكمان: أجل، أحب هذه البلدة التي ولدت فيها، وهي عزيزة علي لدرجة أنني أفضل تدميرها على رؤيتها تزدهر على الكذب.

أسلاكسن: هذه كلمات قوية.

صراخ وصفير. السيدة ستوكمان تسعل عبثاً والدكتور لا يسمعها أبداً.

هوفستاد (يصرخ من بين الفوضى): الرجل الذي يمكنه تمني الدمار لمجتمع بأكمله لا بد أن يكون عدواً للشعب.

الدكتور ستوكمان (بحماسة متزايدة): إن مجتمعاً قائماً على الكذب يستحق التدمير! وأنا أقول إن مدينة كهذه تحتضن مجتمعاً كهذا يجب أن نسوي بها الأرض. وكل أولئك الذين يعيشون على الكذب يجب إبادتهم مثل الحشرات. أنت ستنتهي بإفساد البلد بأكمله. ستوصله إلى طريق حيث تستحق الأرض فيها أن تمحى من الوجود. وإن وصلت الأمور لهذه الدرجة، عندها سأقول من كل قلبي «فلتباد الأرض عن بكرة أبيها! وليفنى الناس جميعاً!»

رجل: إنه يتحدث وكأنه عدو للشعب!

بيلينغ: أقسم إن هذا هو صوت الشعب يتحدث.

الحشد كله (يصرخ): أجل، أجل، أجل! إنه عدو للشعب! إنه يكره هذه البلدة! إنه يكره الشعب!

أسلاكسن: بوصفي مواطناً وإنساناً في الوقت نفسه، أنا مصدوم بشدة لما اضطررت لسماعه. لقد أظهر الدكتور ستوكمان شخصيته على حقيقتها – [بطريقة لم أحلم قط أنه قادر على فعلها. وأخشى أن علي تأييد الرأي الذي عبر عنه مواطنون محترمون منذ قليل؛ و] أنتقل لأقول [علينا أن نصوغ هذا الاقتراح بصفة قرار. وأقترح ما يلي:] «يعلن هذا الاجتماع [أنه ينظر إلى] المدير الصحي للحمامات، الدكتور توماس ستوكمان، بوصفه عدواً للشعب».

تصفيق وهتاف يصم الآذان. يشكل عدة أفراد من الحشد دائرة حول الدكتور ستوكمان ويصفرون استهزاءً به. تقف السيدة ستوكمان وبترا. مورتن وإيليف يتعاركان مع الطلاب الآخرين الذين كانوا يصفرون أيضاً. يفرق بينهم بعض الكبار.

الدكتور ستوكمان (للناس الذين كانوا يصفرون): أيها الحمقى! أنا أقول لكم –

أسلاكسن (يقرع جرسه): لا يسمح للدكتور الكلام بعد الآن. سيجري اقتراع رسمي؛ [لكن حماية للمشاعر الشخصية،

سيتم الاقتراع كتابة ودون ذكر أسماء.] هل بحوزتك أوراق بيض يا سيد بيلينغ؟

بيلينغ: لدي أوراق بيض وزرق هنا –

أسلاكسن (ينزل من المنصة): جيد، هذا سيوفر بعض الوقت. قطعها على شكل مربعات؛ أجل بهذا الشكل. (للحشد) الأوراق الزرق تعني لا، والبيض تعني نعم. وأنا سأجمع الأوراق بنفسي.

يترك رئيس البلدية القاعة. يطوف أسلاكسن ومواطنان آخران بالجماهير المحتشدة واضعين قطع الورق في قبعات.

المواطن الأول (لهوفستاد): ماذا جرى للدكتور؟ بماذا يفكر؟

هوفستاد: أنت تعلم كم هو متهور.

المواطن الثاني (لبيلينغ): أظن أنك زائر تتردد إلى ذلك المنزل. هل لاحظت مرة – هل ذلك الرجل يشرب الخمر؟

بيلينغ: أقسم إنني لا أدري بم أجيب. كلما زاره أحد، ترى شراب التُّودي دائماً على الطاولة.

المواطن الثالث: أظن أنه يفقد صوابه بين الحين والآخر.

الرجل الأول: أجل، ألا يقولون إن هناك جنوناً في العائلة؟

بيلينغ: ممكن.

رجل رابع: لا، إنه حقد خالص. إنه يريد الانتقام لسبب أو لآخر.

بيلينغ: لقد كان يتكلم يوم أمس عن زيادة في الراتب. لكنه لم يحصل عليها.

كل الرجال (بصوت واحد)**:** آه، هذا يفسر الأمر!

الرجل المخمور (في الجزء الأكثف من الحشد)**:** أريد ورقة زرقاء! وأريد ورقة بيضاء أيضاً!

صيحات: إنه الرجل المخمور ثانية. ارموه خارجاً.

مورتن كيل (يذهب إلى الدكتور ستوكمان)**:** حسناً يا ستوكمان، أترى الآن ماذا جرى حين بدأت القيام بحيل القرود؟

الدكتور ستوكمان: لقد أديت واجبي.

مورتن كيل: ما ذاك الذي كنت تقوله عن مدابغ مويلدال؟

الدكتور ستوكمان: كما سمعت. لقد قلت إن كل القاذورات تأتي من هناك.

مورتن كيل: ومن مدبغتي أيضاً؟

الدكتور ستوكمان: أخشى أن مدبغتك هي الأسوأ.

مورتن كيل: هل ستنشر ذلك في الصحف؟

الدكتور ستوكمان: لن أخفي شيئاً.

مورتن كيل: لذلك ستدفع الثمن غالياً يا ستوكمان. (يذهب).

رجل سمين (يعبر من بين الجماهير إلى الكابتن هورستر، دون أن يلقي التحية على السيدات.): حسن يا كابتن، لقد أعرت منزلك لأعداء الشعب؟

الكابتن هورستر: أظن أنه بإمكاني أن أفعل ما أشاء بأملاكي الخاصة.

الرجل السمين: إذاً لن تعترض لو فعلت الشيء نفسه بأملاكي؟

الكابتن هورستر: ماذا تقصد؟

الرجل السمين: ستسمع مني الجواب غداً. (يستدير ويذهب)

بترا: أليس ذاك الرجل هو الذي يملك سفينتك يا كابتن هورستر؟

الكابتن هورستر: أجل.

أسلاكسن (ممسكاً بأوراق الاقتراع بيده، يصعد إلى المنصة ويرن جرسه). يا سادة، اسمحوا لي أن أعلن لكم النتائج. بوجود ورقة واحدة فقط معارضة -

شاب: إنه الرجل المخمور!

أسلاكسن: بوجود ورقة واحدة فقط معارضة، وهي من رجل ثمل، يصرح هذا الجمع من المواطنين بالإجماع أن المدير الصحي للحمامات، الدكتور توماس ستوكمان، عدو للشعب! (صيحات وإيماءات تدل على الموافقة.) عاش مجتمعنا القديم النبيل! (هتاف أكثر) عاش رئيس بلديتنا الفاضل النشيط، الذي ترفع بإخلاص فوق روابط الدم! (هتاف) انتهى الاجتماع. (ينزل).

بيلينغ: ثلاثة هتافات لرئيس الاجتماع.

الحشد كله: مرحى للسيد أسلاكسن! مرحى! مرحى!

الدكتور ستوكمان: أعطني قبعتي ومعطفي يا بترا. كابتن، ألديك في سفينتك مكان لمسافرين إلى العالم الجديد؟

الكابتن هورستر: لأجلك ولعائلتك يا دكتور، سأجد لكم مكاناً.

الدكتور ستوكمان (بينما بترا تساعده في ارتداء معطفه)**:** جيد. هيا بنا يا كاثرين. هيا يا أولاد. (يأخذ بذراع زوجته.)

السيدة ستوكمان (بهدوء)**:** عزيزي توماس، دعنا نخرج من الممر الخلفي.

الدكتور ستوكمان: لا طرق خلفية عندي يا كاثرين! (يرفع صوته) ستسمعون من عدو شعبكم ما لا يسركم قبل أن ينفض غبار هذه البلدة عن قدميه! فأنا لست شديد التسامح مثل ذلك الشخص الذي كان يقول: «أغفر لهم لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون»[*].

أسلاكسن (يصرخ)**:** هذا التشبيه فيه تجديف يا دكتور ستوكمان!

بيلينغ: هذا ما أقوله، أقسم باللـــ-! يا له من كلام بغيض يؤذي أسماع الناس المحترمين!

صوت خشن: إنه يهددنا الآن!

صيحات متحمسة: فلنكسر نوافذ بيته! ولنرمه في البحر.

(*) القول للسيد المسيح.

رجل (من بين الحشد): انفخ في بوقك يا إيــڤنسن. (يقلد صوت البوق مرتين)

نفخ في البوق، صفير وصيحات اهتياج. يتجه الدكتور وعائلته إلى الباب. يشق الكابتن هورستر الطريق لهم.

كل الحشد (يصرخون وراءهم وهم ذاهبون): عدو الشعب! عدو الشعب! عدو الشعب!

بيلينغ (وهو يرتب أوراقه): علي اللعنة إن احتسيت الخمر عندهم الليلة، أقسم على ذلك!

تحتشد الجماهير عند الباب. تصل الأصوات إلى الخارج. يمكن سماع صيحة من الشارع: «عدو الشعب!عدو الشعب! عدو الشعب!»

† † †


الهيئة العامة
السورية للكتاب

الفصل الخامس

مكتب الدكتور ستوكمان. رفوف كتب وخزائن تحتوي زجاجات أدوية على مد الجدار. في الخلف، هناك مخرج إلى الردهة. وفي مقدمة المسرح من جهة اليسار، يوجد باب غرفة الجلوس. وهناك نافذتان على الجدار اليميني، كل ألواح الزجاج فيها محطمة. وفي وسط الغرفة يبدو مكتب الدكتور مغطى بالكتب والأوراق. الفوضى تعم الغرفة.و الوقت صباحاً.

الدكتور ستوكمان مرتدياً ثيابه المنزلية وخفيه وواضعاً على رأسه قبعة، ينحني على الأرض تحت إحدى الخزائن ممسكاً بمظلة. وبعد برهة يسحب حجراً.

الدكتور ستوكمان (يتحدث عبر الباب المفتوح المؤدي إلى غرفة الجلوس): لقد وجدت حجراً آخر يا كاثرين!

السيدة ستوكمان (من غرفة الجلوس): أوه، ستجد الكثير منها بعد.

الدكتور ستوكمان (يضع الحجر وسط كومة من الحجارة على الطاولة): سأحتفظ بهذه الحجارة كآثار مقدسة. سيراها إيليف

ومورتن كل يوم، وعندما يكبران سيرثانها عني. (يبحث تحت أحد رفوف الكتب): ألم – تباً ما كان اسمها؟ – كما تعلمين، الخادمة – ألم تذهب إلى مركّب الزجاج بعد؟

السيدة ستوكمان (تدخل): قال إنه لا يعلم إن كان بإمكانه المجيء اليوم.

[**الدكتور ستوكمان:** الحقيقة هي أنه لا يجرؤ على المجيء.

السيدة ستوكمان: أجل.] تقول رانداين إنه لا يجرؤ بسبب الجيران. (تتكلم وهي في غرفة الجلوس) ماذا يا رانداين؟ لا بأس. (تذهب إلى الداخل ثم تعود مباشرة.) هذه رسالة لك يا توماس.

الدكتور ستوكمان: أعطني إياها. (يفتحها ويقرؤها.) فهمت.

السيدة ستوكمان: ممن؟

الدكتور ستوكمان: من صاحب البيت. إنه ينذرنا بإخلاء البيت.

السيدة ستوكمان: هل فعل حقاً؟ مع أنه يبدو رجلاً محترماً –

الدكتور ستوكمان (ينظر إلى الرسالة): [يقول أنه لم يجرؤ على فعل غير ذلك.] إنه آسف جداً، لكن [لم يجرؤ على فعل غير ذلك] – بسبب إخوته المواطنين، واحتراماً للرأي العام، ووفاءً لبعض الالتزامات، لم يجرؤ على إغضاب بعض الناس من ذوي النفوذ –

السيدة ستوكمان: أرأيت يا توماس؟

الدكتور ستوكمان: أجل، أجل، رأيت.كلهم جبناء في هذه البلدة. لا أحد يجرؤ على فعل أي شيء خوفاً من الآخرين. (يرمي الرسالة على الطاولة.) لكن ليس علينا أن نقلق يا كاثرين. سنغادر الآن إلى العالم الجديد.

السيدة ستوكمان: أتظن حقاً أنها فكرة جيدة يا توماس، أن نهرب بعيداً؟

الدكتور ستوكمان: وهل علي البقاء هنا حيث يشهّرون بي على أنني عدو للشعب، ويحقرونني، ويكسرون نوافذ بيتي؟ فقط انظري إلى هذا يا كاثرين! لقد مزقوا بنطالي أيضاً!

السيدة ستوكمان: أوه لا! لقد كان أفضل بنطال عندك!

الدكتور ستوكمان: على المرء ألا يلبس أفضل بنطال عنده حين يخرج ليقاتل من أجل الحرية والحقيقة. [أوه، أنا لا أهتم كثيراً بالبنطلونات، فأنت دائماً بإمكانك أن ترقعيها لي. لكن ما لا أطيق تقبله وتحمله هو أن يجرؤ أولئك الرعاع على تهديدي وكأنهم من مستواي!

السيدة ستوكمان: نعم يا توماس، لقد تصرفوا بفظاعة معك في هذه البلدة. لكن أيعني ذلك أن علينا مغادرة البلدة؟

الدكتور ستوكمان: أتظنين أن الغوغاء في مدن أخرى ليسوا على شاكلة واحدة من الوقاحة؟ بلى يا كاثرين، لا فرق يُذكر بين هؤلاء وأولئك. فليذهب الأخسّاء جميعاً إلى الجحيم، اتركيهم ينبحون. ليس هذا أسوأ ما في الأمر. الأسوأ هو أن

الناس في هذه البلدة بطولها وعرضها مجرد عبيد للأحزاب. ولتعلمي أنهم قد لا يكونون أفضل حالاً في أمريكا. فالأغلبية متفشية هناك أيضاً، والرأي العام الحر وكل باقي ذلك الكلام الفارغ. لكن المجال أوسع هناك، تفهمين ما أقصد. فهم قد يقتلونك، لكنهم لا يعذبونك ببطء. إنهم لا يحاصرون رجلاً حراً ويتهمونه بأشياء معيبة كما يفعلون هنا. ويمكنك أن تبقي بعيدة خارج هذه الأمور كلها إن أردت.] (يمشي عبر الغرفة.) لو كنت أعلم فقط بوجود غابة بدائية أو جزيرة نائية في البحار الجنوبية معروضة للبيع بثمن رخيص –

[**السيدة ستوكمان:** لكن ماذا بشأن الأولاد يا توماس؟

الدكتور ستوكمان (يتوقف): أنت غريبة حقاً يا كاثرين! أتفضلين أن يربى أولادك في مجتمع كهذا؟ لقد رأيت بأم عينك ليلة البارحة كيف كان نصف الناس هائجين كالمجانين، وإذا كان النصف الآخر منهم لم يفقد صوابه، فهذا إنما لأنهم بهائم لا عقول لديهم كي يفقدوها.

السيدة ستوكمان: لكن يا عزيزي توماس، لقد كنت غير واع لما قلته، ولعل ذلك هو السبب.

الدكتور ستوكمان: ماذا! ألم أكن أقول الحقيقة؟ ألم يقلبوا كل فكرة قلتها رأساً على عقب؟ ألم يخلطوا الخطأ بالصواب فلم يعودوا يعرفون الفرق بينهما؟ ألم يصفوا كل شيء بالكذب وأنا أعلم أنه الحق؟ لكن ما أثار جنوني أكثر أن هناك رجالاً

ناضجين ذوي نزعة تحررية راحوا يتجمعون ويقنعون أنفسهم وغيرهم أنهم ذوو فكر تقدمي! هل سمعت في حياتك شيئاً كهذا يحدث يا كاثرين؟

السيدة ستوكمان: أجل، أجل، كل ما جرى محض غباء، ولكن–]

تدخل بترا من غرفة الجلوس.

السيدة ستوكمان: هل عدت من المدرسة لتوك؟

بترا: لقد صُرفت من العمل.

السيدة ستوكمان: صُرفتِ؟

الدكتور ستوكمان: أنتِ أيضاً!

بترا: وجهتْ إلي السيدة بَسك إنذاراً. لذا رأيت أنه من الأفضل لي أن أترك العمل فوراً.

الدكتور ستوكمان: أصبتِ، إي وربي!

السيدة ستوكمان: من كان يعتقد أن السيدة بَسك امرأة لئيمة بهذا الشكل؟

بترا: لا يا أمي، ليست لئيمة. لقد كان من الواضح أنها لم تكن ترغب في القيام بذلك. لكنها قالت إنها لم تجرؤ على فعل غير ذلك. لذلك صُرفتُ من العمل.

الدكتور ستوكمان (يضحك ويفرك يديه): [لم تجرؤ على فعل غير ذلك!] هي أيضاً! أوه، هذا رائع!

السيدة ستوكمان: حسن، بعد تلك المشاهد المخيفة الليلة الفائتة لا يمكنك –

بترا: ليس هذا كل ما في الأمر. أصغ إلى هذا يا أبي.

الدكتور ستوكمان: حسن؟

بترا: لقد أرتني السيدة بَسك رسائل لا تقل عن ثلاث كانت قد تلقتها هذا الصباح –

الدكتور ستوكمان: دون أن يُذكر عليها اسم المرسل طبعاً؟

بترا: أجل.

الدكتور ستوكمان: أترين يا كاثرين، لم يجرؤوا حتى على التوقيع بأسمائهم.

بترا: فحوى اثنتين منهما أن سيداً ممن كانوا يترددون على هذا المنزل أعلن في النادي ليلة البارحة أنني أعتنق أفكاراً متحررة جداً في مواضيع عدة –

الدكتور ستوكمان: آمل أنك لم تنكري ذلك.

بترا: وحياتك لم أفعل! [فالسيدة بَسك نفسها تعبر عن أفكار متحررة جداً حين نكون معاً وحدنا؛ لكن الآن بعد أن شاع هذا الصيت عني، لم تعد تجرؤ على إبقائي.]

السيدة ستوكمان: [عظيم – «شخص يتردد على هذا المنزل»!] أرأيت أي نوع من الشكر أتانا من كرم ضيافتك يا توماس!

الدكتور ستوكمان: لن نعيش في هذه الغابة بعد اليوم. احزمي الحقائب بأسرع ما يمكن يا كاثرين. كلما أسرعنا في الرحيل من هنا كان أفضل.

السيدة ستوكمان: شش! أعتقد أن هناك شخصاً ما في الردهة. اذهبي وألق نظرة يا بترا.

بترا (تفتح الباب): أوه، هذا أنت كابتن هورستر؟ تفضل أرجوك.

الكابتن هورستر (من الردهة): صباح الخير. شعرت أن علي المجيء لأطمئن عن أحوالكم.

الدكتور ستوكمان (يصافحه): أشكرك. هذا لطف كبير منك.

السيدة ستوكمان: وشكراً لاهتمامك كي نخرج بأمان ليلة البارحة، يا كابتن هورستر.

بترا: كيف تدبرت أمر عودتك إلى المنزل ثانية؟

الكابتن هورستر: أوه، لقد تمكنت من العودة؛ [فأنا قوي جداً، و...] نباح أولئك التافهين أسوأ من عضهم.

الدكتور ستوكمان: أليس غريباً كم بلغ جبن أولئك الحقراء! [تعال، سأريك شيئاً ما.] انظر، هنا كومة الحجارة التي رموها كلها على نوافذنا. فقط انظر إليها! صدقاً كلها من الحصى الصغير وليس بينها سوى اثنين من الحجم الكبير! ومع ذلك وقفوا هناك جميعاً ينبحون، ويُقسمون إنهم سيقتلونني. لكن فليفعلوا، فليفعلوا، لا، لن ترى الكثير من الفعل في بلدتنا هذه.

الكابتن هورستر: حسبك أنك نجوت هذه المرة يا دكتور.

[**الدكتور ستوكمان:** طبعاً! لكن ذلك يزعجني على كل حال؛ لأنه لو وصلت الأمور إلى قتال حقيقي دفاعاً عن البلد، فسوف ترى يا كابتن هورستر كيف سيحاول الرأي العام المحافظة على أمنه في المقام الأول، وسيهرب أفراد هذه الأغلبية المقدسة بغية الحفاظ على حياتهم مثل قطعان الغنم. هذا هو المحزن فعلاً، إنه لمن المؤلم التفكير فيه بالنسبة إليّ – لا، اللعنة على ذلك، هذا غباء مني! لقد قالوا إنني عدو للشعب، لذا دعني أكن عدواً للشعب!

السيدة ستوكمان: لن تكون كذلك أبداً يا توماس.

الدكتور ستوكمان: لا تكوني واثقة يا كاثرين. فالكلمة القبيحة تخدش كما تخدش الإبرة الرئة. لا يمكنني نسيان تلك الجملة اللعينة، ستبقى عالقة هنا في جدار معدتي، تقبع هناك تفرك في جوفي وتأكله كما يفعل الأسيد الحارق. وليس هناك دواء مغنيسيوم يبطل مفعولها.

بترا: ليس عليك سوى أن تسخر منهم يا أبي.

الكابتن هورستر: مع مرور الوقت سيغير الناس أفكارهم عنك يا دكتور.

السيدة ستوكمان: أجل يا توماس، إنني متأكدة من ذلك كما أراك واقفاً أمامي الآن.]

الدكتور ستوكمان: [ربما، لكن حين يفوت الأوان.] حسناً، لقد حفروا قبورهم بأيديهم! [فليعيشوا كالبهائم؛ لكنهم سيندمون لإرسالهم شخصاً يحب وطنه إلى المنفى.]متى ستبحر يا كابتن هورستر؟

الكابتن هورستر: همم- هذا ما أتيت لأتحدث معكم بخصوصه، في الواقع -

الدكتور ستوكمان: لماذا، أحدث شيء لسفينتك؟

الكابتن هورستر: لا. جل ما في الأمر أنني لن أبحر على متنها.

بترا: لا تقل لي أنهم صرفوك من العمل؟

الكابتن هورستر (يبتسم): بالطبع لقد فعلوا!

بترا: أنت أيضاً!

السيدة ستوكمان: أرأيت يا توماس!

الدكتور ستوكمان: كل ذلك لأنني قلت الحقيقة! والله لم أتصور أن شيئاً كهذا قد يحدث -

الكابتن هورستر: لا تقلق بشأني. سأجد عملاً مع شركة أخرى في مكان آخر.

الدكتور ستوكمان: لكن رئيسك رجل ثري، وله رأيه المستقل تماماً. أوه، اللعنة، اللعنة!

الكابتن هورستر: إنه رجل عاقل بما فيه الكفاية في الأحوال العادية. لقد أخبرني بنفسه أنه كان يود الاحتفاظ بي، لكنه لا يجرؤ –

الدكتور ستوكمان (يضحك): [لكنه لا يجرؤ! لا، طبعاً لا.]

الكابتن هورستر: لقد قال إنه ليس بالأمر السهل جداً وبخاصة حين تكون منضماً إلى حزب ما –

الدكتور ستوكمان: هذه أصدق كلمة نطق بها. فالحزب أشبه بآلة الفرم. إنها تطحن أدمغة الجميع في عجينة واحدة، فتصبح كلها نقانق بشرية، وكلها متشابهة!

السيدة ستوكمان: ألهذا الحد يا توماس!

بترا (للكابتن هورستر): ليتك لم ترافقنا إلى المنزل البارحة، لما حدث هذا أبداً.

الكابتن هورستر: لست آسفاً على ذلك.

بترا (تعطيه يدها): شكراً لك!

الكابتن هورستر (للدكتور ستوكمان): ما أردت قوله، إن كنتم ما زلتم تودون المغادرة، فقد فكرت في طريقة أخرى –

الدكتور ستوكمان: جيد! طالما أنه يمكننا الرحيل بسرعة –

السيدة ستوكمان: شش – ألم تسمعوا نقراً على الباب؟

بترا: أظن أنه عمي.

الدكتور ستوكمان: آها! (يصيح) ادخل!

السيدة ستوكمان: والآن عزيزي توماس، عدني –

يدخل رئيس البلدية من الردهة.

رئيس البلدية (عند مدخل الباب): أوه، أنت مشغول. سآتي فيما بعد –

الدكتور ستوكمان: لا، لا، تفضل أرجوك.

رئيس البلدية: أريد أن أتحدث معك على انفراد.

السيدة ستوكمان: سنذهب إلى غرفة الجلوس.

الكابتن هورستر: سأوافيك فيما بعد.

الدكتور ستوكمان: لا، وأنت ادخل هناك أيضاً. أريد أن أعرف المزيد عن ذلك –

الكابتن هورستر: حسن، سأنتظر إذاً.

يدخل مع السيدة ستوكمان وبترا غرفة الجلوس. لا يقول رئيس البلدية شيئاً، فقط ينظر إلى النوافذ.

الدكتور ستوكمان: ألا ترى الجو بارداً هنا اليوم؟ ارتدِ قبعتك.

رئيس البلدية: شكراً لك إن لم يكن لديك مانع. (يرتديها.) أظن أنني أصبت بالبرد الليلة الماضية. [كنت أقف هناك أرتجف –]

الدكتور ستوكمان: حقاً؟ لكنني وجدت المكان دافئاً كفاية.

رئيس البلدية: آسف لأنه لم يكن بمقدوري منع أعمال العنف الليلة الماضية.

الدكتور ستوكمان: أأتيت إلى هنا لتخبرني بهذا؟

رئيس البلدية (يخرج رسالة كبيرة)**:** لدي هذه الوثيقة لك من مديري الحمامات.

الدكتور ستوكمان: هل أنا مطرود؟

رئيس البلدية: بدأً من التاريخ المدون. (يضع الرسالة على الطاولة.) لقد أحزننا ذلك. لكن، بصراحة، لم نكن نملك خياراً آخر. كون الرأي العام على ما هو عليه، لم نجرؤ –

الدكتور ستوكمان (يبتسم)**:** [لم تجرؤوا؟] لقد سمعت هذه الكلمة كثيراً اليوم.

رئيس البلدية: أتوسل إليك أن تدرك موقفك. من الآن فصاعداً لن تستطيع الاعتماد على مزاولة أية مهنة، مهما كانت، في هذه البلدة.

الدكتور ستوكمان: فليذهب العمل إلى الجحيم! لكن ما الذي يجعلك متأكداً إلى هذه الدرجة؟

رئيس البلدية: لقد كتبت جمعية أصحاب العقارات تعميماً، وراحت ترسله من منزل إلى آخر. لقد تم تحريض كل المواطنين المحترمين على عدم توظيفك. وأنا واثق أن أحداً من أصحاب البيوت لن يجرؤ على رفض التوقيع عليه. لن يجرؤوا أبداً.

الدكتور ستوكمان: أجل، أجل، لا أشك في ذلك. لكن ماذا بعد؟

رئيس البلدية: أنصحك أن تغادر البلدة لبعض الوقت –

الدكتور ستوكمان: أجل، أنا أفكر في القيام بذلك.

رئيس البلدية: جيد. ثم بعد أن تأخذ ستة أشهر لتفكر في الأمر ملياً، وبعد أن تتخذ رأياً حكيماً، قد تتمكن من مصالحة نفسك وكتابة بيان صغير تعترف فيه بخطئك، وتعبر فيه عن ندمك –

الدكتور ستوكمان: تعني أنني بعدها قد أستعيد وظيفتي؟

رئيس البلدية: هذا ليس مستبعداً.

الدكتور ستوكمان: لكن ماذا عن الرأي العام؟ أنت لا تجرؤ على إغضابه.

رئيس البلدية: الرأي العام متقلب جداً. وبصراحة أكبر، من المهم بالنسبة إلينا أن تنشر اعترافاً كهذا.

الدكتور ستوكمان: نعم، وهذا سيجعلك تعض شفتيك، أليس كذلك؟ لكن تباً، ألم أخبرك سابقاً رأيي بذلك النوع من الخداع؟

رئيس البلدية: في ذلك الوقت كان موقفك أقوى نوعاً ما. إذ كان لديك سبب يجعلك تظن أن البلدة كلها تقف إلى جانبك –

الدكتور ستوكمان: والآن هم يمرغون وجهي بالوحل! (يثور.) [لا أهتم إن ركب ظهري الشيطان نفسه وجدته العظيمة!] أبداً، قلت لك، أبداً!

رئيس البلدية: لا يحق لرجل عنده عائلة مثلك أن يتصرف على هذا النحو. أنت لا تملك الحق يا توماس!

الدكتور ستوكمان: لا أملك الحق! شيء واحد فقط في هذا العالم لا يحق للرجل الحر القيام به. أتعرف ما هو؟

رئيس البلدية: لا.

الدكتور ستوكمان: لا، طبعاً أنت لا تعرف. لكنني سأخبرك. لا يملك الرجل الحر الحق أن يلوث نفسه كالبهائم. ليس من حقه أن يضع نفسه في موقف يشعر فيه بالحاجة لأن يبصق على نفسه.

رئيس البلدية: يبدو ذلك كله معقولاً جداً، فقط لو لم يكن هناك تفسير آخر لعنادك. [لكن السبب موجود.]

الدكتور ستوكمان: ماذا تقصد بذلك؟

رئيس البلدية: أنت تعلم قصدي تماماً. لكن بوصفي أخاك، ورجلاً خَبِرَ هذا العالم، أنصحك ألا تراهن على توقعات ومصادفات على الأرجح أنها لن تتحقق.

الدكتور ستوكمان: لكن عن ماذا تتحدث؟

رئيس البلدية: هل تتوقع مني حقاً أن أصدق أنك لا تعلم بشأن الترتيبات التي أجراها مورتن كيل في وصيته؟

الدكتور ستوكمان: ما أعلمه أن القليل الذي يملكه سيؤول إلى دار الحرفيين المتقاعدين. لكن ما علاقتي أنا بهذا الموضوع؟

رئيس البلدية: بداية يجب أن تعلم أن ثروته ليست ضئيلة أبداً. فمورتن كيل هو رجل ثري جداً.

الدكتور ستوكمان: لم يكن لدي فكرة -!

رئيس البلدية: همم - حقاً؟ إذاً أظن أنه ليس لديك فكرة أن جزءاً كبيراً من أمواله مخصصة لأولادك، وأنك أنت وزوجتك ستتمتعان بحق الانتفاع بها مدى الحياة. ألم يخبرك ذلك؟

الدكتور ستوكمان: لم يخبرني فعلاً! بل خلاف ذلك كان لا يفعل شيئاً سوى التذمر من أن الضرائب ترهقه بشدة. لكن هل أنت متأكد من ذلك يا بيتر؟

رئيس البلدية: حصلت على هذه المعلومات من مصادر موثوقة.

الدكتور ستوكمان: لكن، يا إلهي، هذا يعني ضمان مستقبل كاثرين، والأولاد أيضاً! أظن أن علي إخبارها! (يصيح) كاثرين، كاثرين!

رئيس البلدية (يمنعه): شش، لا تنطق ببنت شفة بعد.

السيدة ستوكمان (تفتح الباب): ما الأمر؟

الدكتور ستوكمان: لا شيء يا عزيزتي. ادخلي ثانية.

تغلق السيدة ستوكمان الباب.

الدكتور ستوكمان (يذرع الغرفة جيئة وذهاباً): لقد تم تأمين مستقبلهم! [لا يمكنني أن أصدق ذلك! كلهم - ومدى الحياة! أوه كم هو شعور رائع أن يعرف المرء أن مستقبله مؤمن.] وللأبد!

رئيس البلدية: وهذا بالضبط ما لم يحدث. فبمقدور مورتن كيل أن يلغي تلك الوصية في أي يوم أو ساعة يختارهما.

الدكتور ستوكمان: لكنه لن يفعل يا عزيزي بيتر. فذلك الغرير مسرور للغاية لما سببته لك ولأصدقائك المهمين من إحراج.

رئيس البلدية (يجفل وينظر إليه بحدة): آها! هذا هو التفسير إذاً!

الدكتور ستوكمان: ماذا تعني؟

رئيس البلدية: كل ذلك كان مؤامرة إذن. كل هذه الاتهامات العنيفة والمجردة من المبادئ التي وجهتها للسلطات باسم الحقيقة كانت ببساطة ثمناً كي يتذكرك ذلك العجوز الغبي الحاقد في وصيته.

الدكتور ستوكمان (لا يكاد يستطيع الكلام): بيتر – أنت أكبر وغد منحط قابلته في حياتي.

رئيس البلدية: انتهى كل شيء بيننا. قرار طردك نهائي. الآن لدينا سلاح ضدك. (يذهب).

الدكتور ستوكمان: ذلك القذر – اللعنة، اللعنة! (يصيح) كاثرين! نظفي الأرض من ورائه! قولي لتلك الفتاة أنت تحضر لي دلواً للمسح – ما كان اسمها؟ تلك التي لا تنظف أنفها أبداً –!

السيدة ستوكمان (عند مدخل غرفة الجلوس): شش، شش، أرجوك يا توماس!

بترا (أيضاً عند المدخل): أبي، جدي هنا ويسأل، إن كان بإمكانه التحدث إليك على انفراد؟

الدكتور ستوكمان: أجل، بالطبع. (عند الباب) ادخل يا عمي.

يدخل مورتن كيل. يغلق الدكتور ستوكمان الباب خلفه.

الدكتور ستوكمان: حسناً، ما الأمر؟ تفضل اجلس.

مورتن كيل: لا، لا أريد الجلوس. (يتلفت حوله.) يبدو المكان هنا جميلاً ودافئاً اليوم يا ستوكمان.

الدكتور ستوكمان: أجل، أليس كذلك؟

مورتن كيل: جميل جداً، وهواء عليل أيضاً! بتّ تحصل الآن على ما يكفيك من الأوكسجين الذي كنت تتحدث عنه الليلة الماضية! وأظن أن ضميرك مرتاح كثيراً اليوم، أليس كذلك؟

الدكتور ستوكمان: نعم، مرتاح.

مورتن كيل: هذا ما ظننته. (يدق على صدره) لكن أتعرف ما أحمل هنا؟

الدكتور ستوكمان: آمل أن يكون ضميراً طيباً أيضاً.

مورتن كيل (يعبر عن الازدراء): لا، شيء أفضل من ذلك.

يُخرج دفتر جيب سميكاً، يفتحه ويريه لفيفة أوراق.

الدكتور ستوكمان (ينظر إليه بدهشة): أسهم في الحمامات؟

مورتن كيل: لم يكن من الصعب الحصول عليها اليوم.

الدكتور ستوكمان: أتعني أنك كنت هناك واشتريت -؟

مورتن كيل: قدر ما استطعت أن أشتري.

الدكتور ستوكمان: لكن يا عزيزي السيد كيل، إنّ وضع تلك الحمامات الآن، كما تعلم –!

مورتن كيل: لو تصرفت بعقل، يمكنك أن تعيد الأمور إلى نصابها من جديد.

الدكتور ستوكمان: لكنك ترى بنفسك أنني أبذل قصارى جهدي، ولكن –! [أهالي هذه البلدة مجانين حقاً!]

مورتن كيل: قلتَ ليلة البارحة إن أسوأ الملوثات تأتي من مدبغتي. لكن لو كان ذلك صحيحاً، فهو يعني أن جدي وأبي من قبلي، وأنا شخصياً، كنا نلوث هذه البلدة لأجيال، وكأننا ثلاثة شياطين. أتظن أنني سأترك اتهاماً كهذا يطوق عنقي؟

الدكتور ستوكمان: أخشى أن هذا واقع مفروض عليك.

مورتن كيل: لا، شكراً! إن اسمي وسمعتي غاليان علي. لقد بلغني أنهم يلقبونني «الغُرير». والغرير حيوان قذر أليس كذلك؟ حسن، سأثبت لهم أنهم مخطؤون. فأنا أنوي أن أعيش وأموت نظيفاً.

الدكتور ستوكمان: وكيف ستقوم بذلك؟

مورتن كيل: أنت من سيجعلني نظيفاً يا ستوكمان.

الدكتور ستوكمان: أنا!

مورتن كيل: أتعلم بأموال مَنْ اشتريت هذه الأسهم؟ طبعاً لا تعلم؛ لكنني سأخبرك. إنها الأموال التي سيرثها من بعدي كاثرين وبترا والأولاد. ولقد تدبرت أمري لأدخر بعض المال.

الدكتور ستوكمان (يهتاج): أتعني أنك أنفقت أموال كاثرين على هذا؟

مورتن كيل: أجل، والآن كلها مُستَثمَرة في الحمامات. لذا سنرى الآن إن كنتَ مجنوناً حقاً كما تدعي يا ستوكمان. في كل مرة تقول فيها إنَّ هناك جراثيم تأتي من مدبغتي، سيكون الأمر كما لو أنك تقطع قطعة لحم من جسد زوجك، وبترا والأولاد. لكن لا يوجد زوج وأب يحترم نفسه يفعل ذلك، إلا إذا كان قد جن حقاً.

الدكتور ستوكمان (يمشي جيئة وذهاباً): أجل، لكنني مجنون! أنا مجنون!

مورتن كيل: لكن لا يمكنك أن تبلغ هذا الحد من الجنون حين تكون حياة زوجك وأولادك على المحك.

الدكتور ستوكمان (يقف أمامه): لمَاذا لمْ تأت وتتحدث إلي قبل أن تشتري أوراق نفايات كهذه؟

مورتن كيل: لأن وقع الأفعال أكبر من وقع الكلام.

الدكتور ستوكمان (يجول في الغرفة بانزعاج بالغ): لو لم أكن متأكداً فقط من أمر الجراثيم -! لكنني واثق أنني على صواب!

مورتن كيل (يزن دفتر الجيب بيده)**:** لو أصررت على جنونك، فلن تساوي هذه الأسهم كثيراً، كما تعلم.

يُعيد الدفتر إلى جيبه.

الدكتور ستوكمان: لكن، تباً، يجب أن يجد العلم مخرجاً. إجراء وقائياً، أو مطهراً أو شيئاً من هذا القبيل –

مورتن كيل: تعني شيئاً يقتل هذه الجراثيم؟

الدكتور ستوكمان: أجل، أو يجعلها غير مؤذية.

مورتن كيل: ألا يمكنك أن تجرب سم الفئران؟

الدكتور ستوكمان: أوه، لا، لا. لكن الجميع لا ينفكون يتحدثون أن هذا محض خيال. حسنٌ، إذا سأتركهم على اعتقادهم. أولئك الجهلة، الأنذال، محدودو العقول اتهموني بأني عدو للشعب، ألم يفعلوا؟ كله يهون إلا أن يمزقوا لي ثيابي!

مورتن كيل: وحطموا نوافذك أيضاً.

الدكتور ستوكمان: بلى. والآن هناك مسألة واجبي تجاه عائلتي. لا بد من التحدث إلى كاثرين. إنها ضليعة بهذه الأمور.

مورتن كيل: فكرة جيدة. إنها امرأة عاقلة. اتبع نصيحتها.

الدكتور ستوكمان: (يهاجمه)**:** ما الذي أجبرك على [القيام بتصرف غبي كهذا؟ كيف تجازف بأموال كاثرين و] تضعني في هذا المأزق البغيض! حين أنظر إليك، أشعر وكأنني أنظر إلى الشيطان ذاته –

مورتن كيل: إذاً من الأفضل لي أن أنصرف. لكنني أريد جوابك نحو الساعة الثانية. إن أجبت بلا، فإنني سأعطي هذه الأسهم إلى بيت العجزة – وسأفعل ذلك اليوم.

الدكتور ستوكمان: وماذا ستنال كاثرين حينها؟

مورتن كيل: ولا قرش واحد!

يُفتح الباب المؤدي إلى الردهة. يظهر هناك هوفستاد وأسلاكسن.

مورتن كيل: حسناً! انظروا من هَلَّ علينا!

الدكتور ستوكمان (يحدق فيهما): مَن بحق الجحيم؟ ألا تزال لديكما الجرأة لزيارتي؟

هوڤستاد: في الحقيقة نعم.

أسلاكسن: لدينا شيء نريد التحدث إليك بشأنه.

مورتن كيل (يهمس): نعم أو لا – حوالي الساعة الثانية!

أسلاكسن (ينظر إلى هوڤستاد): آها!

يذهب مورتن كيل.

الدكتور ستوكمان: حسناً، ماذا تريدان؟ اختصرا.

هوڤستاد: أجرؤ على القول إنك لا تشعر بالراحة تجاهنا نظراً للموقف الذي اتخذناه في اجتماع الليلة الماضية –

الدكتور ستوكمان: وتسميه موقفاً! موقف جيد بالفعل! لقد خنعتما كامرأتين عجوزين. اللعنة عليكما معاً.

هوفستاد: سمّه ما شئت، لم يكن بوسعنا فعل غير ذلك.

الدكتور ستوكمان: تقصد لم تجرؤا على فعل غير ذلك. أليس هذا ما تعنيه؟

هوفستاد: إن كان ذلك يريحك.

أسلاكسن: لكن لمَ لمْ تخبرنا؟ ما كان عليك سوى أن تلمح للسيد هوفستاد أو لي.

الدكتور ستوكمان: ألمّح؟ عن ماذا؟

أسلاكسن: عن سبب ما فعلته.

الدكتور ستوكمان: لا أفهم ما ترمي إليه.

أسلاكسن (يومئ برأسه على نحو تآمري): بلى تفهمني يا دكتور ستوكمان.

هوفستاد: لم يعد هناك داع لكتمان الأمر بعد الآن.

الدكتور ستوكمان (ينقل نظره من واحد لآخر): ماذا تقصدان بحق الجحيم؟

أسلاكسن: سامحني على السؤال، لكن أليس حماك من يدور في البلدة ويحاول شراء أسهم الحمامات المعروضة للبيع كلها؟

الدكتور ستوكمان: لقد اشترى بعضاً منها اليوم. لكن –

أسلاكسن: كان من الأفضل لك لو أرسلت شخصاً غيره لهذه المهمة. شخصاً ليس قريباً جداً منك.

هوفستاد: وما كان يجدر بك أن تفعل كل هذا باسمك شخصياً. إذ لم يكن هناك داع أن يعلم الجميع بأنك أنت من يهاجم الحمامات. كان يفترض بك أن تجعلني موضع ثقتك وتشاورني يا دكتور ستوكمان.

الدكتور ستوكمان (يحدق أمامه مباشرة. يبدو وكأن نوراً يشرق عليه، ويتكلم وكأن صاعقة نزلت به**)**: هل يُعقل ذلك؟ هل يمكن لأمر كهذا أن يحدث فعلاً؟

أسلاكسن (يبتسم**)**: بكل وضوح. لكن كان يتوجب تدبير الأمر بمستوى من الذكاء، كما تعلم.

هوفستاد: وكان يجب أن يشترك به أكثر من شخص. فجزء من المسؤولية يسقط عن كاهل المرء حين يشاركه عدة أشخاص.

الدكتور ستوكمان (بهدوء): باختصار يا سادة، ما المطلوب؟

أسلاكسن: يستطيع السيد هوفستاد أن يشرح الأمر بشكل أفضل من –

هوفستاد: لا، أنت أخبره يا أسلاكسن.

أسلاكسن: حسناً، في الواقع جل ما في الأمر، هو أننا نعلم الآن كيف تجري الأمور، وفكرنا في أن المغامرة بوضع «منبر الشعب» تحت تصرفك.

الدكتور ستوكمان: وتظنان أنكما تملكان الجرأة على خوض هذه المخاطرة؟ لكن ماذا بخصوص الرأي العام؟ ألستما خائفين من أن نتسبب بعاصفة؟

هوفستاد: علينا اجتياز تلك العاصفة.

أسلاكسن: وعليك أن تتعجل في إطلاق الحدث يا دكتور. بعدما كان لحملتك أثرها –

الدكتور ستوكمان: تقصد بعد أن حصلت أنا وحماي على الأسهم كلها بسعر زهيد؟

هوفستاد: لا بد أنك تسعى للسيطرة على الحمامات من أجل قضية العلم في المقام الأول.

الدكتور ستوكمان: طبعاً. لقد جعلت ذلك الغرير العجوز يسعى معي في هذا من أجل قضية العلم. وبعدها سنقوم ببعض الإصلاحات في شبكة المياه، ونعمل على الحفر قليلاً تجاه الشاطئ، وهذا لن يكلف دافعي الضرائب سوى نصف كراون. وأرى أننا سنتجنب التلوث بذلك، ألا ترون ذلك معي، ها!

هوفستاد: أرى ذلك– لو قامت بمساندتك صحيفة «منبر الشعب».

أسلاكسن: في مجتمع حر، للصحافة قوة مرهوبة الجانب يا دكتور.

الدكتور ستوكمان: بالضبط هي كذلك. والرأي العام أيضاً. وأنت ستتكفل بجمعية أصحاب العقارات يا سيد أسلاكسن، أليس كذلك؟

أسلاكسن: بجمعية أصحاب العقارات وجمعية الاعتدال. لا تقلق بهذا الشأن.

الدكتور ستوكمان: لكن يا سادة، أنا خجل من ذكر ذلك، لكن، ماذا تريدان مكافأة – قبل –

هوفستاد: يسرنا أن نساعدك مجاناً بالطبع. لكن صحيفة «منبر الشعب» تمر بمرحلة حرجة؛ فنحن نخوض صراعاً مريراً، وأكره أن أغلقها الآن، وحين لاحت أسباب عظيمة تحتاج دعمنا.

الدكتور ستوكمان: بالطبع. هذا دواء مر يتجرعه واحد من أصدقاء الشعب مثلك. (يثور) لكن أنا – أنا عدو الشعب! (يذرع الغرفة جيئة وذهاباً) أين عصاي؟ أين وضعتُها بحق الجحيم؟

هوفستاد: ماذا تقصد؟

أسلاكسن: أنت بالتأكيد لا تفكر في –؟

الدكتور ستوكمان (يتوقف): ولنفرض أنني لم أعطكما شيئاً ولو بسيطاً من أسهمي؟ فأموالنا نحن الأغنياء عزيزة علينا جداً، يجب أن تدع ذلك في ذهنك.

هوفستاد: وعليك أن تتذكر أن موضوع الأسهم الصغير هذا يمكن أن يحمل أكثر من تفسير.

الدكتور ستوكمان: أجل، هذا هو أسلوبكما، أليس كذلك؟ إن لم أساعد «منبر الشعب» فستحرفان دوافعي، وستبدآن بالصيد في الماء العكر، وتجعلانني في الحضيض، وتضيقان الخناق علي كما يخنق الكلب أرنباً.

هوفستاد: هذا هو قانون الطبيعة. كل حيوان يصارع من أجل البقاء كما تعلم.

أسلاكسن: فالخبز لا ينمو على الأشجار. عليك أن تأخذه أينما تجده.

الدكتور ستوكمان: إذاً انظرا إن كان بإمكانكما إيجاد بعض منه في المجارير. (يمشي حول الغرفة.) بحق السماء، سنرى الآن من أقوى حيوان بيننا نحن الثلاثة. (يجد مظلته.) آها! (يهزّها.) الآن –

هوفستاد: لن تجرؤ على التهجم علينا!

أسلاكسن: انتبه أنت بيدك المظلة.

الدكتور ستوكمان: سأرميك من النافذة يا سيد هوفستاد!

هوفستاد (عند مدخل الباب المؤدي إلى الردهة): هل جننت؟

الدكتور ستوكمان: اخرج من تلك النافذة يا سيد أسلاكسن! قلت لك اقفز! لا تتوانَ!

أسلاكسن (يركض حول المكتب): دكتور، دكتور، تمالك نفسك! أنا رجل ضعيف، لا أتحمل الإثارة –! (يصرخ) النجدة، النجدة!

يدخل الكابتن هورستر وبترا والسيدة ستوكمان من غرفة الجلوس.

السيدة ستوكمان: توماس، ما الذي يجري هنا بحق السماء؟

الدكتور ستوكمان (يلوح بالمظلة مهدداً): قلت لك اقفز خارجاً إلى المجرور.

هوفستاد: هذا يتهجم من دون سبب. أشهدك يا كابتن هورستر – ! (يركض خارج الردهة.)

السيدة ستوكمان (تمسك بالدكتور): كرمى لله، تمالك أعصابك يا توماس.

أسلاكسن (يائساً): اضبط نفسك يا دكتور، اضبط– أوه، يا إلهي! (يفر عبر غرفة الجلوس.)

الدكتور ستوكمان (يرمي المظلة): تباً لهما، لقد هربا من هنا أخيراً.

السيدة ستوكمان: لكن ماذا كانا يريدان؟

الدكتور ستوكمان: سأخبرك لاحقاً. لدي أشياء أخرى أفكر فيها الآن. (يذهب إلى الطاولة ويكتب على بطاقة زيارة.) انظري إلى هذه يا كاثرين. ماذا ترين هنا؟

السيدة ستوكمان: «لا، لا، لا» – ما معنى هذا؟

الدكتور ستوكمان: سأشرح ذلك لاحقاً أيضاً. (يمسك البطاقة.) خذي يا بترا، وأخبري تلك الفتاة ذات الأنف القذر أن تحملها مباشرة إلى الغرير بأقصى سرعتها. أسرعي!

تذهب بترا عبر الردهة ومعها البطاقة.

الدكتور ستوكمان: لقد أتى في طلبي رسل الشيطان كلهم اليوم، ولا أدري حقاً من بقي منهم. لكن علي الآن أن أشحذ قلمي ضدهم حتى يصبح كخنجر.وسأغمسه بالغضب والسم. وسأوجه ضرباتي نحو رؤوسهم الغبية.

السيدة ستوكمان: لكننا سنرحل يا توماس!

تعود بترا.

الدكتور ستوكمان: حسن؟

بترا: لقد أخذتها.

الدكتور ستوكمان: جيد. قلت سنرحل؟ لا والله لن نرحل. نحن باقون هنا يا كاثرين.

بترا: باقون؟

السيدة ستوكمان: في هذه البلدة؟

الدكتور ستوكمان: أجل! هذا هو ميدان المعركة الذي اخترته، وهنا يجب أن تدور المعركة. وهنا عليَّ أن أنتصر. حالما تنتهين من رتق بنطلوناتي هذه، سأخرج إلى البلدة وأبحث عن منزل. فعلينا أن نجد سقفاً يقي رؤوسنا [حين يحل الشتاء].

الكابتن هورستر: يمكنكم أن تأخذوا منزلي.

الدكتور ستوكمان: أتسمح لنا؟

الكابتن هورستر: طبعاً. لدي الكثير من الغرف، وأنا قلما أكون هناك.

السيدة ستوكمان: أوه، كابتن هورستر، كم أنت لطيف!

بترا: شكراً لك.

الدكتور ستوكمان (يشد على يده)**:** أشكرك، أشكرك. [حسناً، لقد تجاوزنا تلك المشكلة! سأبدأ حملتي منذ اليوم!] أوه [كاثرين] أمامي كثير من العمل أقوم به. لكن لحسن الحظ سأتمكن من تسخير كامل وقتي له. انظري إلى هذا. لقد طردت من وظيفتي في الحمامات.

السيدة ستوكمان (تتنهد)**:** آه، حسن، كنت أتوقع ذلك.

الدكتور ستوكمان: ويريدون أن يمنعوني من ممارسة المهنة أيضاً. حسناً فليفعلوا. على الأقل سأحتفظ بمرضاي الفقراء، أولئك الذين لا يستطيعون أن يدفعوا. حسناً، تعلم السماء أنهم في أمسّ الحاجة إلي. لكن والله عليهم أن يصغوا إلي. سأنصحهم صباحاً ومساءً وليلاً.

السيدة ستوكمان: أوه، توماس، توماس! لا بد أنك رأيت ماذا فعلت النصيحة الجيدة.

الدكتور ستوكمان: أنت سخيفة حقاً يا كاثرين. أتظنين أني سأسمح لنفسي أن يطردني الرأي العام والأغلبية، وأولئك الغوغاء من الميدان. لا، شكراً. [مبتغاي بسيط للغاية وسهل ومباشر. أريد أن أغرس في رؤوس أولئك الأنذال أن الأحرار هم ألد أعداء الحرية، فذلك الحزب يخطط لخنق كل حقيقة جديدة تستحق الحياة، وتلك الوسيلة والمنفعة الذاتية

تقلب الفضيلة والعدالة رأساً على عقب فتصبح الحياة هنا في النهاية لا تطاق. حسناً يا كابتن هورستر، ألا تعتقد أنني يجب أن أكون قادراً على إيصال تلك الفكرة للناس؟

الكابتن هورستر: هذا ممكن، لكنني لا أفهم في هذه الأشياء كثيراً.

الدكتور ستوكمان: حسناً، أرأيت، هذا هو مربط الفرس! الأمر يتعلق برؤساء الحزب، إنهم هم من يجب اجتثاثهم من الجذور.إذ إن رئيس الحزب أشبه بذئب جائع، تراه يحتاج عدداً معيناً من الحملان الصغيرة ليلتهمها كل سنة ليحافظ على بقائه. انظر إلى هوفستاد وأسلاكسن! كم قضوا على شبانٍ مثاليين حيويين وبريئين! أو غيرهم ممن تم تشويههم ومعاملتهم بخشونة حتى أصبحوا لا يصلحون لشيء سوى أن يكونوا أصحاب منازل أو مشتركين في «منبر الشعب»] (يجلس نصف جلسة على الطاولة.) تعالي يا كاثرين. انظري جمال أشعة الشمس عبر النوافذ اليوم! وشمي هواء الربيع العليل الرائع الذي يُنَسّم علينا.

السيدة ستوكمان: أوه يا عزيزي توماس ليتنا نستطيع العيش فقط على أشعة الشمس وهواء الربيع

الدكتور ستوكمان: ربما عليك أن تعمدي إلى التوفير قليلاً، لكننا سنتدبر الأمر. هذا آخر ما يقلقني. لا، بل الأسوأ أنني لا أعرف شخصاً حراً كفايةً يتولى عملي من بعدي.

بترا: لاتهتم لذلك يا أبي. ستجد شخصاً في الوقت المناسب. انظر، لقد جاء الصّغيران!

يدخل إيليف ومورتن من غرفة الجلوس.

السيدة ستوكمان: هل عندكما عطلة اليوم؟

مورتن: لا، لكننا تعاركنا مع الأولاد الآخرين في وقت الاستراحة، لذا –

إيليف: ليس صحيحاً. الأولاد الآخرون هم اللذين بدؤوا العراك معنا.

مورتن: أجل. لذلك أخبرت الدكتور رورلوند أنني أرى أنه من الأفضل بقاؤنا في المنزل بضعة أيام.

الدكتور ستوكمان (يُطَقطِق أصابعه ويقفز عن الطاولة): فهمت! لقد فهمت بحق السماء، لا يطأ أحدٌ منكما أرض تلك المدرسة مرة ثانية.

الولدان: لا نذهب إلى المدرسة؟

السيدة ستوكمان: ولكن يا توماس –!

الدكتور ستوكمان: قلت أبداً، أنا سأعلمكما بنفسي. لن تتعلما أي شيء لعين –

مورتن: مرحى!

الدكتور ستوكمان: لكنني سأجعل منكما رجالاً أحراراً! أرستقراطيين! وعليك مساعدتي يا بترا.

بترا: أجل يا أبي، بالطبع.

الدكتور ستوكمان: سنقيم المدرسة في الغرفة التي وصموني بها أني عدو الشعب. لكننا نحتاج مزيداً من الطلاب. يجب أن يكون لدي على الأقل اثنا عشر تلميذاً كبداية.

السيدة ستوكمان: لن تجدهم في هذه البلدة.

الدكتور ستوكمان: سنرى. (مخاطباً الأولاد) أتعرفون أياً من أولاد الشوارع، من المتشردين حقيقةً –؟

إيليف: أجل يا أبي، أعرف الكثيرين.

الدكتور ستوكمان: هذا جيد. أحضر لي بعضاً منهم. سأقوم بتجربة حظي مع صعاليك الشوارع هذه المرة. فهم يحملون أحياناً عقولاً طيبة.

إيليف: لكن ماذا سنفعل حين نصبح [رجالاً أحراراً و] أرستقراطيين؟

الدكتور ستوكمان: حينها يا أولادي ستطاردون رجال السياسة اللعينين كلهم وتقذفون بهم في المحيط الأطلسي.

تبدو على إيليف الريبة نوعاً ما. يقفز مورتن ويهتف.

السيدة ستوكمان: دعنا نأمل ألا يكون رجال السياسة هم من سيطاردك يا توماس.

الدكتور ستوكمان: هل جننت تماماً يا كاثرين؟ يطاردونني؟ الآن حين أصبحت أقوى رجل في البلدة؟

السيدة ستوكمان: الأقوى – الآن؟

الدكتور ستوكمان: أجل! وسأذهب إلى ما هو أبعد من هذا. أنا الآن واحد من أقوى الرجال في العالم كله.

مورتن: مرحى!

الدكتور ستوكمان (يخفض صوته): شش! لا تتكلموا بهذا الموضوع الآن! لكنني اكتشفت اكتشافاً عظيماً!

السيدة ستوكمان: ماذا؟ اكتشاف آخر؟

الدكتور ستوكمان: بلى، بلى! (يجمعهم حوله ويهمس في آذانهم.) أتعلمون، الحقيقة هي أن أقوى رجل في العالم هو ذلك الذي يقف وحيداً دائماً.

السيدة ستوكمان (تبتسم وتهز رأسها): آه، يا توماس –!

بترا (تضع يديها بيديه بحرارة): أبي!

† † †



ملاحظة على الترجمة(*)

لقد سمحت لنفسي بترجمة جملة أو جملتين بتصرف بعض الشيء. حين شبه الدكتور ستوكمان الأرستقراطيين من المثقفين بالكلاب الأصيلة، جعله إبسن يذكر كلب البودل الذكي كمثال على التفكير الدقيق والذكاء. لكن كلاب البودل، من أي فئة كانت في إنكلترا اليوم، يوجد عنها أفكار خاطئة، لذا غيرت هذا النوع من الكلاب واستبدلتُ به كلب الصيد. وحين تحدث عن كرهه لـ «ledende mœnd» (حرفياً «القياديون» – بالمعنى السياسي لا المسرحي، على الرغم من أن إبسن يعرف شيئا أو اثنين عن ذلك النوع الأخير أيضاً)، ترجمت العبارة بـ «رجال السياسة». وقد قصد إبسن بـ «ledende mœnd» أي شخص يقود الآخرين بأنفه(**)، وهو تعريف دقيق إلى حد ما لرجل السياسة.

باستعمالي الأقواس المربعة في النص أردت الإشارة إلى إمكانية حذف ما بين القوسين في أثناء العرض. إن مسرحية «عدو الشعب» – باستثناء مسرحية «البطة البرية» – هي أطول مسرحيات إبسن النثرية، والتي لا يزال يستغرق عرضها قرابة ثلاث الساعات، على الرغم من بعض الحذف كما فعلنا هنا. يتضمن خطاب ستوكمان في الفصل الرابع كمية معينة من سمك الرنجة الأحمر الذي لا يُعدُّ إسقاطه من النص خسارة كبيرة، وبداية الفصل الأخير، بإصراره على تكرار «عدم الجرأة»، والدقائق الأخيرة، كلها مجتمعة تفيد في رأيي الترفق الحكيم. لكن لأي مخرج يستخدم هذه الترجمة الحرية باتباع رأيه الشخصي في هذه المسألة.

(*) المقصود هنا ترجمة مايكل مبير مسرحية «عدو الشعب» من النروجية إلى الإنكليزية.

(**) اصطلاح بمعنى يجعلهم طوع أمره في كل شيء.

الفهرس

الطبعة الأولى / ٢٠١٢م
عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة







www.syrbook.gov.sy

مطابع وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٢م

سعر النسخة ١٢٠ ل.س أو ما يعادلها